

الكاتب المصرى

د. سيد كريم



مهرجان القراءة للجميع ٩٧

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(المصريات)

الكاتب المصرى

د. سيد كريم

الغلاف

الإشراف الفنى

للفنان محمود الهندى

المشرف العام

د. سمير سرحان

الجهات المشتركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التعليم

وزارة الإدارة المحلية

المجلس الأعلى للشباب والرياضة

التنفيذ: هيئة الكتاب



مقدمة

وهكذا تمضى مسيرة مكتبة الأسرة لتقدم فى عامها الرابع تسع سلاسل جديدة تضم روائع الفكر والإبداع من عيون كتب الآداب والفنون والفكر فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية، تروى تعطش الجماهير للثقافة الجادة والرفيعة، وتنضم إلى مجموعة العناوين التى صدرت خلال الأعوام الثلاثة الماضية لتغطى مساحة عريضة من بحور المعرفة الإنسانية، ولتقطع بأن مصر غنية بتراثها الأدبى والفكرى والإبداعى والعلمى، وأن مصر على مر التاريخ هى بلاد الحكمة والمعرفة والفن والحضارة .. عبقرية فى المكان وعبقرية الإبداع فى كل زمان.

سوزان مبارك

على سبيل التقديم...

مكتبة الأسرة ٩٧ رسالة إلى شباب مصر الواعد تقدم صفحات متألقة من متعة الإبداع ونور المعرفة مصدر القوة فى عالم اليوم..

صفحات تكشف عن ماضينا العريق وحاضرنا الواعد وتستشرف مستقبلنا المشرق.

د. سمير سرحان

الكاتب المصرى

كشفت برديات الأدب المصرى القديم أن الكاتب المصرى كـان أول من كتب القصة وكشفت قصصه أنه المؤلف الحقيقى لأشهر روائع الأدب العالمى الخالد التى سرقها العالم ونسبها إلى نفسه.

فالكاتب المصرى أول من أمسك بالقلم صنعه من غاب النيل «نهر الحياة» وصنع الورق من عيدان البردى الذى ينمو على شاطىء النهر وقدم له النيل نبات النيلة ليصنع من عصيرة حبر الكتابة.

وصنع الفرشاة من ريش الأوز الذى يسبح على النهر وصنع الألـوان من أكاسيد المعادن.

بتلك الأدوات التى قدمها للبشرية بأكملها خط أفكاره التى جمعت بين الفن والفكر والعلم والخيال.

فكان الكاتب المصرى أول من كتب وأول من قرأ خط لنفسه أبجدية.

● ان تلك القصائد والأغـانى والملاحم التى رددتهـا البلاد بـأكملها حتى دخلت إلى مجالس القصر كانت من الأسباب الرئيسية للقرار الذى أصدره الملك

سنوسرت بالعفو عن سنوحى والسماح له بالعودة إلى مصر وما ناله من تكريم وتقدير من العائلة الملكية بأكملها.

كما أصبحت قصته التى كتبها بنفسه من الملاحم الشعبية التى كان يرددها المنشدون والمداحون لأجيال طويلة كملاحم أبو زيد الهلالى وغيرها من الملاحم الشعبية المعروفة.

أما وقائع البطولة فى قصة سنوحى كما وصفها بنفسه فهى عديدة من بينها على سبيل المثال واقعة مبارزته مع بطل قوى من فلسطين جاء يتحدى قوته ليبارزه ويحطم سطوته وهنا يقول سنوحى:

«جاء رجل قوى من فلسطين ليبارزنى فى معسكرى» كان بطلاً منقطع النظير، أخضع جميع قبائل فلسطين وأقسم أن يحاربنى وتآمر مع رجال قبيلته أن يأخذ ماشيتى وأملاكى غنيمة وأدعى ان رجالى فتحوا بابه واخترقوا سياجه ودبروا سرقته وسألنى الأمير فقلت له ان ذلك حقد عليك لأنه رأى اننى رددت من سلطتك وأنى كثور الماشية فى قطيع غريب - ان الثور يحب النزال ولن يعلن تقهقره خوفاً من ثور ربما كان أقوى منه أو يضارعه فى القوة فإذا كان قلبه مصمماً على الحرب فدعه ينطق بارادته، وهل الآله يعلم بما قدر له؟ أو هل يعرف هو كيف يكون المصير».

ويتابع القصة بقوله «فى الليل شددت قوسى وفوقت سهامى وشحذت خنجرى، وعند الفجر كانت فلسطين بأكملها قد جاءت وقد أثار قبائلها فتهيأت للنزال، وهنا برز كالثور الهائج.

كان كل قلب يحترق من أجلى وكل قلب مكلم بسببى، هجم على فجأة قبل اشارة المبارزة فتفاديت سلاحه بحركة خاطفة فسقط درعه وفأسه وحزمة حرابه ومر سهمه بى طائشاً فتركته ولم أقض عليه بضربة قاضية وهو تحت رحمة سلاحى وقبضتى الحديدية.. وتركته وأعطيته الفرصة ليقترب منى ويهاجمنى مرة ثانية فدفعت سهمى إليه فلصق بعنقه فصاح وهو يخور كالثور القتيل وقد انبطح على أنفه فسحبت منه سيفه وأجهزت عليه به وصحت صيحة النصر وأنا أضع قدمى على رقبته فكانا قربانا لمصر أرض الآله.



ان ما دبره نكاية بى جعلته يحيق به ولقد فعل الآله رحمه بفرد غضب عليه وجعله يفر إلى أرض أخرى ويحرم من وطنه بغير ذنب فعفا الآله عنه وأعاد الفرحة إلى قلبه ونصره على من عاداه ويعود ويقول «أيها الآله العظيم يا من أمرتنى بالهروب وحميتنى بالغربة كن رحيماً وأعدنى ثانية إلى مقر الملك لأرى المكان الذى يسكن فيه قلبى وأن تدفن جثتى فى الأرض التى ولدت فيها وخرجت منها وبقرب من أحببت».

وأرسل سنوحى إلى سنوسرت وزوجته يستعطفهما ويستأذنهما فى المجىء إلى مصر، ويؤكد لسنوسرت أنه يحفظ له والعائلة كل ولاء واخلاص وأنه هرب خوفاً على حياته ممن تآمروا على قتله.

ويكمل سنوحى قصته فيقول انه تلقى مرسوماً ملكياً بالعفو عنه والعودة إلى مصر ونشر بيانه كاملاً بما فيه من توقيعات وأختام ولم يمكث فى «ياء» الا يوماً واحداً عاد بعده فوراً إلى مصر وعندما وصل إلى حدود مصر صحبه رجال القصر إلى العاصمة وجاءوا فى الصباح المبكر لدعوته لزيارة الملك وكان أبناء الملك فى استقباله عند بوابة القصر وكان اللقاء مع فرعون والملكة ودياً ووصفه بأنه «كان احتفالاً أنساه ما سرقته السنون من عمره».

وعينه الملك أميناً على القصر وبين رجال حاشيته.

ويشير فى نهاية القصة أنه أقيم له قبر من الحجر وسط المقابر الملكية بجوار قبر الأميرة أشرف عليه كبير مهندسى العمارة بأمر الملك.

وهو ما يربط قصة سنوحى وتيكاهيت بقيس وليلى حيث اشتركت القصتان فى نهاية واحدة مماثلة حيث عاد كل منهما ليجد حبيبته قد سبقته إلى العالم الآخر.



● معبد آمون (المتحف المصرى الأسرة ١٨ ١٤٠٠ ق . م

ان صوت الناس يفنى

ولكن صوت الكاتب يعيش ابد الدهر

الحكيم بتاح حوتب

تراث مصر ملىء بالأفكار الجميلة والرائعة حول الكلمة وشرف القلم . بل أن المصرى القديم حرص على وضع ميثاق شرف للكاتب المصرى .

هيئة الكتاب تقدم فى هذا الموضوع صورة من تراثنا عن منزلة الكاتب ووضعه فى المجتمع وتقدم ميثاق الشرف الذى عاش به كل كتاب العالم الكبار الذين يحترمون أنفسهم ويجلون الكلمة التى يكتبونها . .

الأدب المصرى القديم هو أقدم أنواع الأدب . يتميز بأصالته بحكم توغله فى القدم . . كانت شخصيته القوية وطابعه المميز الذى كان انعكاسا لظروف البيئة فى الزمان والمكان ، واستجابة مباشرة للعوامل الفكرية والاجتماعية والدينية والتاريخية . . تلك العوامل التى حددت مفاهيمه وألهمت مواضيعه وحددت أساليبه . . فكان انتاجه الخلاق الذى وضع الأساس الذى اهتدى به الأدب فى العالم القديم وترك بصماته على الكثير من عناصر الأدب العالمى الحديث . .

فالكاتب المصرى كان أول من أمسك بالقلم فى تاريخ البشرية . . رأى مولد الزمان فسجله . . عاصر أول تجربة لبناء الحضارة فدونها ، فكان أول من كتب التاريخ ، وخلد بقلمه تراثه الفكرى . .

بدأ بأدب السماء التى وهبته نعمة الكتابة وأمدته بالحرف والكلمة وعلمته كيف يمسك بالقلم وتدرج منه إلى الحكمة وأدب تعاليم العقيدة مرورا بأدب الأمباطير وأدب القصة لشرح الواقع بالخيال ليوقظ أحاسيس المجتمع ويقرب من قلبه . . فكان أول من كتب الشعر وغناه والأدب وصنفه والقصة ورواها . .

كان أول من كتب للمسرح ليضفى الحياة الى ما يكتبه وأول من ابتدع الأدب التصويرى المصور . . فجعل من الأدب فنا جميلا ومن فنون كتابته وأساليبها مادة لذلك الفن . .

خاض بفنون أدابه جميع جوانب التجارب الإنسانية وفتح افاقا جديدة للادب . . فكان سخيا فيما قدمه عبر تاريخه الطويل وما خلفه من تراث فكرى خالد . .

كان للكاتب المصرى أو « حامل القلم » كما وصفه الفراعنة القدماء مركز ممتاز فى المجتمع . . كانت مهنة الكتابة من المهن المرموقة التى تصل فى بعض مراتبها إلى درجة التقديس . . كان لكاتب الأدب أو كاتب المعرفة النصيب الأكبر فى أدارة دفة الأمور وتصريفها سواء فى قصر فرعون أو دور الحكم أو بيوت العدالة . . كان الوزير الأول يسبق اسمه عادة لقب الكاتب . . فكانت الكتابة ومهنتها حلم الكثيرين حيث تفتح لهم آفاقا واسعة . .

بمراجعة تاريخ حياة الكثير من العظماء نجد أنهم بدأوا حياتهم بمهنة الكتابة فوصلوا عن طريقها إلى مناصب هامة فى الدولة وكثيرا ما كان أبناء فرعون نفسه وخاصة ولى عهده الذى سيرث العرش ، يسعون للحصول على لقب كاتب أول من المعبد أو لقب كاتب المعرفة المقدسة التى كانت تسبق القابه الملكية المتعددة عند جلوسه على العرش . .

ولعل أكبر مثل لاعتزاز العظماء وكبار المسئولين فى الدولة بلقب الكاتب أن كثيرا من رجال الدولة والفنانين والمهندسين والأطباء ورؤساء الكهنة والقواد العسكريين كانوا يضيفون الى ألقابهم لقب الكاتب . . كما خلد البعض أنفسهم بأن نحتوا بعض تماثيلهم على شكل الكاتب الجالس حامل القلم . .

وكانت شواهد الأحوال فى الدولة الحديثة تدل على المكانة العظيمة التى وصل اليها الكتاب وحاملو القلم الذين قربهم ملوك الفراعنة الى العرش وعهدوا اليهم بأخطر أعمال شئون الدولة ووصلوا إلى أرقى وظائفها وأطلق عليهم لقب « كتاب الفرعون الحقيقيين » وكانت تسجل أسماؤهم فى «لوحات الشرف » بالقصر « ولوحات الخلود » بالمعبد . .

وقد ورد فى لوحة الخلود فى عهد رمسيس الثانى أسماء خمسين كاتبا كان الملك يخلد كل كاتب بصنع تمثال له تنقش عليه ألقابه وأعماله . . ولا يخلو متحف من المتاحف العالمية المشهورة من تمثال أو أكثر من تمثال الكاتب المصرى . .

ومن أشهر تماثيل « الكاتب المصرى » الذين خلدتهم البلاد فى عهد رمسيس الثانى . .

تمثال الكاتب « خاعى » (كاتب الفرعون الحقيقى ومحبوبه) وتمثاله محفوظ بالمتحف المصرى . .

والكاتب « وى نفر » (كاتب الفرعون الأول وحافظ أسراره) . .

والكاتب « بانحسى » (الكاتب الرسمى المشرف على المالية والتمـوين) وكتب اسم الملك على كتفه كوشاح للتكريم (المتحف البريطانى ٩

« ومن مس كانرا » (كاتب الملك وكاتب الأسرار فى مكان الصدق ويحتفظ بتمثاله متحف اللوفر) . .

والكاتب « ثيا » كاتب فرعون المحبوب ومعلم جلالته وحافظ أسرار المعرفة (متحف برلين) . .

الكاتب « سا است » (معلم مرنبتاح بن رمسيس . . الناطق بالحكمة) وقد صنع الملك له تمثالا من البازلت كتب على ظهره - أن من يعتدى على تمثاله أو يصيبه بسوء تنزل عليه لعنة الاله ويحتفظ بتمثاله (متحف فيينا) . .

والكاتب « مرى بتاح » كاتب وثائق الملك الصادق الأمين محبوب تحوت « آله المعرفة) وماعت (معبود الحق والصدق والعدالة) وقد صنع له فرعون لوحة يظهر فيها الملك وهو راكع أمام الآله وكتب فوقه . .

« أنى أقدم التحيات والدعاء لرع لأجل روح الكاتب الأمين « مرى بتاح » صادق القول وسيد الاحترام له الحياة الخالدة والفلاح والصحة . . والدعاء لا وزير لأجل روح الكاتب العظيم » .

كما يحتفظ المتحف البريطانى بتمثال الكاتب والشاعر المشهور « بنتاور » الذى نسخ ملحمة رمسيس فى معابده العظيمة . . ومن بين تماثيل الكاتب التى تحتفظ بها المتاحف العالمية تماثيل كل من الكاتب ريا وكاثـا وبن تستاوى وامن ابت وغيرهم . . كما كان من بين وسائل تكريم الكتاب أن يخلع الملك اسمه ليضاف



الى أسمائهم كما هو كما هو الحال فى أسماء الكتاب رعمسيس نختو ورعمسيس حورا ورعمسيس انانا . .

لقد تنافس ملوك وحكام الدولة الحديثة فى مختلف وسائل التكريم للكاتب المصرى فأقاموا ما أطلق عليه « عيد المعرفة » وهو ما يشابه « عيد العلم » اليوم فكانت تحفظ أعمال الكتاب المرموقين ضمن مقدسات المعابد وتدرس أعمالهم الأدبية فى المدارس وتنشد أشعارهم وتردد أغانيهم فى الحفلات والندوات

ويتبارى الرواد والسمار فى سرد ملاحمه الأدبية وقصصهم الأسطورية التى كانوا ينسبون فى بعضها أسماء أبطال الروايات الى أسماء الكتاب أنفسهم واحتلت مكانها فى القصص الشعبى الذى توارثته الأجيال كما تحول البعض منها إلى تمثيليات تعرض فى المعابد والمسارح الشعبية فى الأعياد . .

● أشرف مهنة ؟ ؟

ان الكثير من النصوص القديمة تبين مكانة الكاتب فى المجتمع المصرى القديم من بينها بردية الحكيم سنب حتب التى يوصى بها ابنه بقوله :

ـ أعد نفسك لتكون كاتبا وحاملا قلم المعرفة . . انها أشرف مهنة واجدر وظيفة تليق بك وترفع شأنك وتقربك من الآله فيوم أن تنادى شخصا واحدا يلبى نداءك ألف شخص فتعلو بقلمك على رؤ وس الآخرين . .

أن ما يخطه قلمك سيعيش أبد الدهر ويكون أكثر خلودا مما ينقشه الآخرون على الحجر الصلب لأنه سيعيش فى قلوب الناس ورؤ وسهم فلا تمتد اليه يد العبث أو التخريب . . تعلم كيف تحرك أصابعك القلم وكيف يحرك عقلك أصابعك فلا يخط قلمك الا الحكمة والمعرفة وما ينفع الناس . . اجعل ملف

البـردى وأدوات الكتابـة أصـدقـاءك ستجـد أنهم أوفى الأصـدقـاء وأخلص الندماء . .

ستزيدك الكتابة بما هو أجمل من ملابس الكتان وعطور اللوتس أن ما يخطه قلمك هو أعظم ميراث لا تعبث به يد الطامعين وأثمن من ارث فى أرض ناحية الشرق أو مقبرة ناحية الغرب أن الكتابة مهنة مقدسة تقربك إلى الآله الذى منحك العقل والقلم وتقربك من فرعون والناس فتجعلك حبيبا للجميع ، وقريبا إلى قلوب الجميع . . فغذاء العقل الذى تقدمه للناس باق ، أما غذاء البطون الذى تقدمه يعطيه لهم الغير لا يدوم » (بـرديات شتـربتى ـ المتحف البريطانى) . .

ومن أقوال رع حتب فى وصف أدب الكتابة قوله « الكتابة تجعل الكاتب أسعد من امرأة وضعت طفـلا فالكتـابة كميـلاد الطفـل الذى يعـوض الأم ما تحملته من الام فى حمله ودلاته فى حمله وولادته . فلا تشعر بأى تعب وهى تقوم لترضعه وتعطى ثديها لفمه كل يوم .

فرح هو قلب الكاتب الذى يزداد شبابا كل يوم .

فرح وهو يسترد أضعاف ما أعطى . . من حبهم وتعظيمهم له وتقديسهم لأعماله » . .

ومنها بردية الكاتب « امون من » حافظ سجلات فرعون « كن كاتبا . . حتى يريح عقلك اجهاد جسمك كن كاتبا . . لتصبح سيد نفسك ولا تكن تحت امرة أسياد كثيرين . .

كن كاتبا فتنعم عليك الآلهة بحاسة جديدة مقدسة تضاف إلى حواسك الخمس . . حاسة تميزك عن الآخرين فترى ما لايراه الآخرون . . وتسمع ما لا يسمعه الآخرون .

سترى وتسمع بعقلك وقلبك عالم ما وراء الطبيعة ستتمتع بشهوات عقلك فتسعد قلبك .

ومن كان قلبه سعيدا أسعد الآخرين . .

● ومن رسالة الحكيم انى لابنه « فلتكن أمنيتك أن تصبح كاتبا فالكتاب أعطى رزق تسعى اليه . .

وأعظم هبة يهبها الآله لمن يسعى اليه .

الكتاب أعظم قيمة من مسكن الحياة حيث تشرق الشمس .

وأبقى خلودا من مقبرة حيث تغرب الشمس .

أنه أجمل وأمتع من قصر فى البستان

أو لوحة دعاء فى هيكل معبد الآله

هل بيننا من يضارع زدفرا ؟

هل بينكم من يتساوى مع امحتب ؟

هل فى عصرنا من هو مثل نفرى واختى أو بتاح جونى وكاخبر وهم أعظم العظماء الذين تتطلع اليهم الانظار وتنخفض امامهم الرءوس هل بينكم من يقول انه مثل بتاح حتب أو كاترس » .

وتستمر الرسالة فى سرد اسماء كثير من الأدباء وأعلام القلم فى مختلف نواحى الأدب . . وجميع تلك الشخصيات التى ورد ذكرها فى البردية ليست غريبة على التاريخ فزدفرا هو أحد أبناء الملك خوفو وكان أديبا وشاعرا ويحمل لقب كاتب

من معبد منف وأمحتب مهندس الملك زوسر وكانت القابه تجمع بين الهندسة والطب والكتابة والأدب وبتاح حتب عاش فى عهد الملك أسيس وكان من أعظم كتاب الحكمة فى عصره .

ويعتبر التاريخ هذه المجموعة أو القائمة من الكتاب فى مقدمة الأدباء المحترفين وكانت أعمالهم الأدبية وتخصص كل منهم فى ناحية من نواحى الأدب موضع تقدير وتعظيم عند قدماء المصريين ابتداء من الاسرات الأولى والعصر العتيق مرورا بالدولة القديمة والدولة الحديثة . . ويعتبر بعض المؤرخين تلك البردية كلوحة من « لوحات الشرف أو لوحات الخلود « التى كانت تعبر فى اعياد الادب لتخليد ذكرى الكتاب والأدباء حتى يستمر حضورهم وحياتهم .

● اعفاء من الضرائب

وفى احدى برديات الأسرة التاسعة عشرة وجد نص ملكى أصدره الملك سيتى الأول باعفاء الكاتب والأديب من الضرائب والجزية

كما وجدت بردية أخرى من عهد رعمسيس الثالث تضيف إلى اعفاء الكاتب من الضرائب بأنواعها صرف معاش للكاتب والأديب حتى يتفرغ لعمله ولا تشغله مطالب الحياة عن القيام بعمله المقدس وقد اشتمل النص فى بعضها إلى اقطاع أرض مغلة أو مسكن خاص للكاتب كما نص بعضها على تأمين تموينية بحصة ثابتة من مخازن الدولة .

وينعكس ذلك على النصائح التى يقدمها الحكيم أنى لابنه فى احدى برديات بريس بالمتحف البريطانى ونصها :

« عليك بالكتابة . . فالكتابة مهنة مقدسة يا بنى ول وجهك نحو الكتاب . . ولا توله نحو الحقل فمهنة الكتابة أشرف المهن وأعلاها ، تعلو بصاحبها فينال احترام الجميع ويتقرب اليه الجميع .

فالكاتب فوق كل شىء ومن يتخذ الكتابة صناعة لا تفرض عليه ضرائب ولا يدفع جزية ويؤمن الآله معاشه لا تنسى أن قلمك هو سلاحك الذى يحميك من أعدائك فلا تعره لغيرك حتى تفقده أو يستعمل ضدك كن كاتبا . . فالكتابة ترفع رأسك فوق رؤوس الناس وترفع رؤوس الناس نحوك بالاحترام والتعظيم » .

لقد رفع كثير من الحكماء أمثال بتاح حوتب وانى وسنب حتب وأبيوور مكانة الكاتب المصرى وقلمه فى أقوالهم المأثورة وحكمهم الخالدة من بينها :

● ان صوت الناس يفنى ولكن صوت الكاتب يعيش أبد الدهر .

● القلم سلاحك الذى وهبك الآله اياه وخصك به وميز به مكانتك بين الناس فاحتفظ به نظيفا ولا تعره لعدوك ولا تدع يدا تحركه غير ضميرك .

● لينطق قلمك بالحق ولا يخط الا الصدق بما يفيد الناس ويرضى الآلهة .

● أن من يخرس صوت القلم يخرس صوته إلى الأبد .

● صوت القلم هو أعلا الأصوات لأنه صوت الحق .

● الكتابة حاسة مقدسة يهبها الآله للكاتب لترفعه فوق الناس فيرى مالا يرون ويسمع ما لا يسمعون .

● ان من يغرق صوت القلم بقوة ساعده سرعان ما يغرق هو ويطفو صوت القلم على السطح .

● قلم الكاتب . . طائر يحلق فى الآفاق العالية فيرى مالا يراه الغير . ويصدح بما يراه وينقله الى من فى الأرض .

● مؤهلات الكاتب وثقافته ؟

ان لقب الكاتب من الالقاب العلمية التى يحصل عليها حاملها من « بيت الحياة » الملحق بالمعبد . . وهو بمثابة جامعات العلوم والاداب والفنون فى العصر الحالى . . وفى تلك الجامعة يدرس الطالب ويتخصص فى مختلف النواحى الأدبية واعلا مراتبها المعرفة المقدسة وهم كتاب العقيدة واللاهوت والعلوم الفلسفية التى أطلقوا عليها اسم « اسرار الوجود » ويليهم كتاب الوحى أو الحكماء وهم كتاب تعاليم الحكمة وما ارتبط بها من تدوين التشاريع والوثائق التاريخية .

ثم كتاب الأدب الاجتماعى وهم كتاب أدب القصة بأنواعها وتدوين الأخبار والأحداث ليتناقلها الشعب ، ثم كتاب الشعر والأغانى وكانوا يجمعون بين الكتابة والعزف على الآلات الموسيقية . . ثم الكتاب العموميون أو الشعبيون الذين يعملون فى الوظائف الحكومية أو فى خدمة الشعب وتقتصر ثقافتهم على القراءة والكتابة وتدوين المستندات ولا تدخل ثقافتهم ضمن المؤهلات الجامعية .

لقد عبر قدماء المصريين عن الكاتب وهو يجلس القرفصاء وقد نشر على ساقيه ملفا من ملفات البردى وهو يمسك بطرفه باحدى يديه كى يطوى ما تم

كتابته ويمسك بالأخرى أدوات الكتابة من دواة الحبر الأسود والأحمر وأقلام البسط (الغاب) وكان الكاتب يظهر عارى الرأس دلالة على أنه كاتب عمومى أو شعبى ليقوم بتدوين المراسلات والوثائق والعقود وحساب المحاصيل والمنتجات لعامة الشعب . .

أما الكاتب الرسمى أو الحكومى المؤهل فكان يميز عن الكاتب العمومى أو الرأس .

أما الأديب وكاتب المعرفة والحكمة فقد رمزوا له بالكاتب الجالس وقد استوى على كتفيه قرد وهو رمز الآله تحوت « آله الحكمة والكتابة والوحى » والذى ذكر من صفاته انه يبتدع الكلمات ويجلس فوق رأس الكاتب ليحميه ويوحى اليه بالأفكار التى يسطرها وفى بعض الأمثلة يظهر الآله تحوت على شكل الطائر « أبو منجل » « ايبس » وهو يقف أمام الكاتب الجالس كالمعلم أمام التلميذ ليلقنه « وحى الفكر والكلمة والحكمة » . .

أما الكاتب كاتم الأسرار فرمز له بالكاتب الجالس الذى يخفى جسمه وساقه رداء نقش عليه ما يرمز الى قدسية ما يحافظ عليه من أسرار . .

وكاتب المعبد الذى يحتفظ بأسرار الوجود ومتون العقيدة فقد ظهر فى عدة أوضاع منها حامل القلم المقدس على شكل صولجان يحمل رأس أحد الآلهة التى تحمى المعرفة المقدسة . .

ولما كان الكاتب العبقرى ينسب أعماله من الخلق الأدبى الى الوحى فقد نسب كل كاتب ما يوحى اليه بانتمائه الى آله أو معبود خاص من آلهة المعرفة

المقدسة فنسبوا إلى « تحوت » المعرفة المقدسة والحكمة الخالدة والى المحتب بعد تقديسه ورفعه الى مرتبة الآلهة نسبوا اليه الطب ومجموعة من فنون الأدب وكانت المعبودة « حتحور » ربة الحب والجمال هى التى يستمد منها وينسب اليها أدباء قصص الحب وشعراؤ ه ما ينزل عليهم من وحى وما يقدمونه من عمل خلاق وينسب كتاب ادب العدالة والتشاريع أنفسهم الى المعبودة « ماعت » الهة الحق والصدق والعدالة وهكذا . .

وكان الكاتب أو الأديب فى كل فن من الفنون وكل ناحية من نواحى الأدب يحتفظ فى بيته أو فى محراب عمله بتمثال لآلهة الوحى ويقدم لها القرابين عن كل ما يقوم به من عمل خلاق أو انتاج أدبى خالد . كما كان يحمل تميمتها لتحميه وتوحى اليه بالكتابة أو . . المعرفة المقدسة . .

وفى الأدب المصرى القديم أمثلة أكثر تفصيلا . ونصوص أكثر اثارة . تؤكد أن معظم معالم الأدب العالمى الخالد فى عالم اليوم كان كاتبها الأول هو المصرى المسكين الجالس القرفصاء .

وقد يفسر بعض المؤرخين هذه الظاهرة بأن الكاتب المسكين كان أكثر عبقرية من كل من جاءوا بعده . وأن الدنيا كلها أفلست فكريا بعد رحيله . ولم تستطيع أن تكتب الا أشياء تكرر ما سبق أن كتبه هو .

وقد يكون لدى البعض الاخر تفسير آخر . وهو أن الموضوعات القصصية بطبيعتها محدودة ، وأن الإنسان القديم قد غطاها جميعا . ولا يمكن ابتكار غيرها .

لكن هذا الخلاف يهم النقاد والمؤرخين . ولا يهمنا نحن . لأنه ليس موضوعنا . أو بتعبير أدق « لأن لدينا موضوعا أهم منه .

لدينا النصوص الفرعونية لمعظم روائع القصص العالمى التى ما تزال منسوبة الى غير كاتبها الجالس القرفصاء .

وهذه النصوص هى التى سنبدأ نرويها كما كتبها صاحبها ـ لا بقصد انصافه فقط ، ولكنا أيضا بقصد انصافها ، وامتاع القارىء بنصها الأصلى الذى شوهه الناقلون والسارقون والمقتبسون عبر ستة آلاف سنه ؟

الكاتب المصرى

هذا الكاتب المصرى سرقه العالم كله

لا يعرف التاريخ كاتبا أسوأ حظا من هذا المصرى الجالس القرفصاء !

فلو أن ميلاده تأخر ستة آلاف سنة ، ولحق معنا بعصر حماية حقوق المؤرخين ، لحصل على حقوق تأليف الأدب العالمى كله .. وصار أغنى أغنياء العالم !

ذلك أنه المؤلف الحقيقى لأشهر الروائع القصصية الخالدة التى ما تزال نسخها تباع بالملايين ، منسوبة إلى غيره : سندريللا ـ على بابا ـ مجنون ليلى ـ شمشون ودليلة ـ الشاطر حسن ـ السندباد البحرى ـ ألف ليلة وليلة .. بل و « الكونت دى مونت كريستو » أيضا !



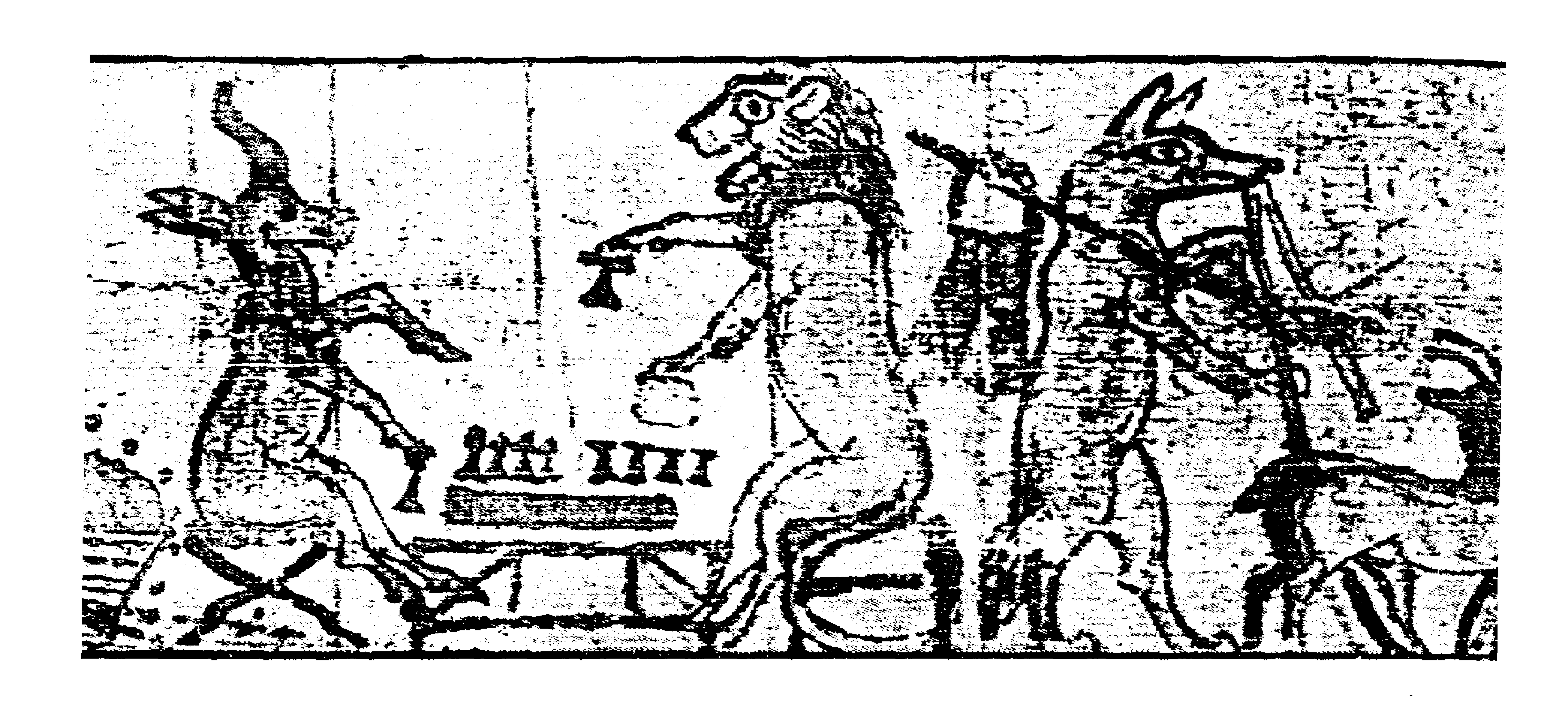
● كليلة ودمنة فى الأدب الفرعونى

والذى يقطع بحق الكاتب المصرى فى حقوق تأليف هذه الروائع كلها هو « البرديات » الموزعة الآن على مختلف متاحف العالم . والتى تروى الأصل الفرعونى لكل من هذه القصص . . بخط ذلك الجالس القرفصاء !

ويكفى أن نضرب هنا بعض الأمثلة . .

● حكايات كليلة ودمنة ..

يقرأ العرب اليوم حكايات « كليلة ودمنة » على أنها حكايات كتبها الفيلسوف الهندى « بيديا » ، وترجمها الأديب العربى « ابن المقفع » . وتكمن جاذبيتها فى أنها تستعرض أحوال البشر ، وتستخلص الحكمة منها ، ولكن من خلال قصص تلعب دور البطولة فيها حيوانات .



وحتى عصرنا هذا ، ما تزال معظم قصص الأطفال تستخدم نفس الحيلة . وتصوغ مَن الحيوانات مخلوقات عاقلة ترمز بها الى نماذج من بنى الإنسان .

لكن أقدم نص تاريخى لهذا الطراز من القصص كان بقلم الكاتب المصرى القديم . وهو ليس نصا واحدا ، وانما ثروة من النصوص ، تنتمى الى أقلام مصرية متعددة : الحكيم كاجنى (معلم أولاد الملك حوفى) ، والأديب كايروس ، والمعلم نصرى ، والحكيم « حور درف » . .

ومن هذه الثروة من النصوص ـ التى كتب معظمها عام ٢٨٥٠ قبل الميلاد ـ قصص كانت تدرس فى مدارس الدولة الوسطى . . ومن عناوينها : الثعلب والأوز ـ الذئب راعى الغنم ـ التمساح العجوز ـ النحلة وزهرة عباد الشمس ـ الأسد والغزالة الجميلة ـ جيش القطط وقلعة الفيران . . الخ .

وتروى هذه القصة الأخيرة ، على سبيل المثال ، أن القطط حاصرت قلعة تحتمى بها الفيران . فقررت الفيران أن تتحالف مع الكلاب ، على أساس أن القطط هى العدو المشترك لهما . وتم التحالف . ودخلت الكلاب المعركة ، وهزمت القطط . لكنها بعد هزيمتها أقنعت الكلاب بالتعاون معها فى التهام الفيران ، والتمتع بلحمها اللذيذ . وتم بالفعل عقد تحالف جديد . . كانت ضحيته الفيران !

والقصة كما نرى هى أقدم نموذج للأدب الذى يستخدم ابطالا من الحيوانات ليصور عالم الإنسان . وهو بالتحديد النموذج الذى نسج على منواله مؤلف « كليلة ودمنة » .

وليت السرقة اقتصرت على تقليد النموذج ، وانما هى فى الحقيقة تجاوزت ذلك الى اقتباس التفاصيل . . خاصة فيما يتعلق بالصفات التى يمثلها كل حيوان من أبطال القصة .

فقد اختارت « كليلة ودمنة » ، كما اختار الأدب العالمى كله ، نفس الصفات التى اختارها الكاتب المصرى لكى يرمز بها إلى نفس الحيوانات .

أختار الكاتب المصرى الأسد معبرا عن القوة والعظمة ، واطلق عليه اسم « ملك الحيوانات » ، وأختار التمساح معبرا عن الغدر . والكلب رمزا للوفاء . والثعبان رمزا للشر والسحر . والقرد معبرا عن الحكمة . والثعلب معبرا عن المكر . والذئب معبرا عن الخيانة . ونسب الى الصقر السمو ، والى الخنزير الوضاعة ، والى النحلة النشاط والعطاء .

هل فعل كتاب قصص الحيوانات ـ بما فيهم كاتب كليلة ودمنة ـ الا استخدام نفس الصفات لأبطال قصصهم ، وتكرار نفس القصص ، أو التأليف فى نفس اطارها والنسج على نفس منوالها ؟

قد يقال : أن استخدام الحيوان رمزا للتعبير عن ظروف مجتمع الإنسان فكرة يمكن أن تخطر ببال أى كاتب ، وليس كاتب وليس شرطا أن يكون سارقا لها من غيره .

ولكن . . انتظر حتى تقرأ النموذج التالى !

● جحيم دانتى ..
أو : رسالة ابى العلاء ●

هنا لا يلعب دور البطولة الحيوان وانما الإنسان .

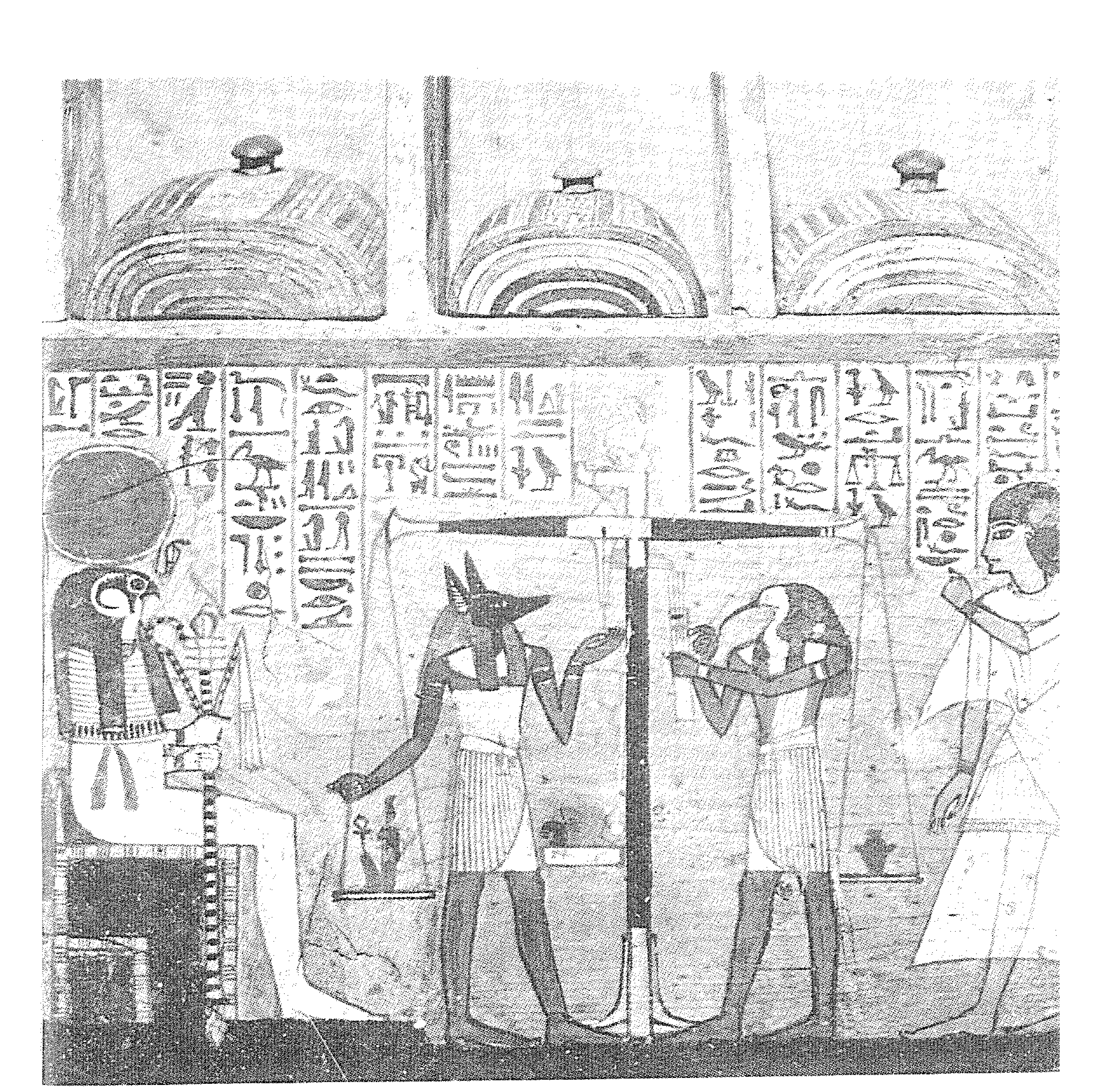
وهنا يتلخص الموضوع ، لا فى قضية الإنسان وهو حى ، وانما فى قضيته وهو بعد الموت .

وقد حفظ التاريخ لنا ، فى هذا الموضوع المثير ، عملين خالدين : « رسالة الغفران » للشاعر العربى الفيلسوف أبى العلاء المعرى ، و « الجحيم » للشاعر الإيطالى الخالد دانتى الليجيرى .

وجوهر كل من العملين رحلة فى العالم الآخر ، نرى فيها أحوال الناس بعد أن انتقلوا اليه . وما يزال النقاد مختلفين حول العلاقة بين العملين : هل ظهر كل منهما مستقلا ، أم تأثرا أحدهما بالآخر ؟

لكن النقاد لم يلاحظوا العمل الثالث الذى سبقهما بعدة قرون . . بقلم الكاتب الجالس القرفصاء !

صاحب هذا العمل هو الحكيم « آنى » ، مؤلف « كتاب الموتى » منذ أربعة الآف سنة .



● جحيم دانتي

وقد وصل الينا النص الذى كتبه « انى » فى بردية واحدة ، عرضها ٤٠ سنتيميترا ، وطولها ثلاثون مترا . . ويحفظها الان المتحف البريطانى .

وفى هذه البردية يزعم « انى » أنه مات وسافر إلى العالم الآخر ، ثم عاد ليروى التجربة . ويصف « آنى » رحلة الروح يوما بيوم ، منذ تفارق الجسد ، إلى أن يتم تحنيطه ، وتجرى له المراسم الجنائزية . ثم رحلة المومياء الى الشاطىء الغربى للنيل ، حيث يتم دفنها . ثم انتقال الروح فى موكب الشمس عبر الفضاء ، حتى تصل الى « المحكمة التحضيرية » . . التى يتصدر منصتها أثنا عشر قاضيا يمثلون بروج السماء الأثنى عشر .

وفى هذه المحكمة يتعرف الميت على البرج الذى ينتمى اليه ، والذى كان مسيطرا على صفاته وسلوكه فى الحياة ويتزود بنصائح ممثل البرج وتعاليمه التى تعينه على مصاعب الرحلة القادمة .

ولكن ، ما هى هذه الرحلة القادمة ؟

انها تمر بسبع سماوات متعاقبات ، يصف كلا منها بالتفصيل ، ويصور ما تحتوى عليه من كائنات ومخلوقات ، وما يتعلق بكل منها من أساطير وحكايات ، وما يجب أن يتلى فيها من تعاويذ وأدعية . .

ثم يصل « آنى » الى المحطة الأخيرة . . وهى محكمة الآخرة . هنا يتربع الآله « اوزير » على عرشه السماوى ، يشع النور من جسده ، ويضيىء قاعة المحكمة بأكملها .

ويصف « آنى » اجراءات المحاكمة . والميزان . والملكين اللذين يسجلان الحسنات والسيئات . والأسئلة التى يوجهها القضاة . والأجوبة التى أعدها مقدما . والدفاع التى استعد به .

ويصدر الآله « اوزيـر » فى النهايـة حكمه بتسجيـل ولادة « آنى » فى عالم الخلود .

وينتقل « آنى » من المحكمة الى ما سماه « جنة الخلد » . ويبدأ يصف هذه الجنـة ، وكيف أنها مكونـة من سبع طبقـات (أو سبع جنـات) تبدأ بجنـة الأبرار ، ثم جنة شهداء حرب العقيدة ، ثم جنة المرسلين ، وجنة الملائكة . . ثم تستمر صعودا حتى تبلغ أعلى درجات الجنة ، وهى « جنة النور » . . التى يقوم فيها عرش الآله .

ويواصل « آنى » وصف الجنة ، ويذكر أن فيها نهرا من خمر ، ونهرا من لبن ينزل من ثدى « نوت » ، ونهرا من عسل . وحقولا من القمح ، سنابله من ذهب . وفيها ملابس لا تتسخ ولا تبل . وفيها شباب دائم . وجسم لا يعرف المرض أو التعب أو الفناء . وليس فيها أرواح خبيثة ، أو شريرة ، أو حيوانات كاسرة ، أو حشرات .

لكن « آنى » ، لا يفوته أن يصف الجحيم أيضا .

والجحيم الذى يزعم أنه شاهده يتألف من سبع طبقات كـالجنة . وهـذه الطبقات فى حقيقتها سبع بحيرات للعذاب . ومنها بحيرة ماؤها من لهب ، يلقى فيها المجرمون فيتعذبون . ولكن لا تحترق أجسـادهم ، ولا يموتـون . وفيها بحيرة تزخر بالتماسيح الجائعة المفترسة . وبحيرة ثالثة تسكنها الحيات والثعابين السامة . . الخ .

ولا ينسى « آنى » وصف زبانية هذا الجحيم . وكيف أنهم جميعا وحـوش وحيوانات ضارية ، وكيف يتفننون فى تعذيب أهل الجحيم .

وقد يقال ، هنا أيضا ، أن فكرة الذهـاب الى العالم الآخـر والعودة منـه لا يشترط أن تكون مسروقة من « آنى » الفرعونى . وقد تكون خطرت « لأبى العلاء » أو « لدانتى الليجيرى » دون أية صلة بالأصل الفرعونى القديم .

ولكن ـ انتظر حتى تقرأ النموذج التالى ، الثالث والأخير . . .

● على بابا .. والأربعين حرامى

تدور قصة « على بابا » الشهيرة حول خدعة ذكية ، تتلخص فى اخفاء عدد من القاتلين داخل براميل تحملها قافلة من الخيل .

ويـرى كثير من مؤرخى الأدب أن القصـة مأخـوذة من ملحمة « حـرب طروادة » اليونانية التى كتبها هوميروس . . حيث خبأ اليونانيون جنودهم داخل حصان خشبى ، سحبه الأعداء الى حصنهم ، ثم فوجئوا بخروج الجنود منه واستيلائهم على الحصن كله .

لكن المؤرخين فاتهم أن الأصل الأول لكل من القصتين يعود تاريخه الى عام ١٤٥٠ قبل الميلاد . وأنه مسجل فى بردية « هاريس » المصرية ، التى يحتفظ بها فى الوقت الحاضر المتحف البريطانى (تحت رقم ٥٠٠) .

كتب هذه البردية القائد المصرى « تحوتى » ، ووجهها الى تحتمس الثالث من

وكان « تحوتى » من ضباط تحتمس الثالث فى إحدى حملاته الفلسطينية . وكان مكلفا بالاستيلاء على (يافا) .

ولكن يـافا استعصت عـلى « تحوتى » . . فعسكـر بجنوده خـارج حصن المـدينة . وبـدأ يفكر فى خـديعة يقتحم بهـا الحصن ، ويقهـر بهـا مقـاومـة « يوبا » . . أمير يافا .

ورسم « تحوتى » خطته ببراعة .

أرسل الى أمير يافا جـاسوسـا يخطر الأمـير بأن « تحـوتى » قد كـان سيده تحتمسى . وتمرد عليه . وأن تحتمس قد غادر البلاد بفلول جيشه بعد أن تمرد عليه جنود « تحوتى » .

وأكد الجاسوس للأمير أن « تحوتى » يريد التحالف معه ، وأنه أحضر من مصر ثروة من الهـدايا النفسيـة ، والأسلحة الفـرعونيـة السحريـة . . ومنها صولجان تحتمس السحرى ، الذى تكفى ضربة واحدة منه لكى يفقد الاعداء الوعى .

واقتنع الأمير بهذا الكلام . وسال لعابه للاستيلاء على الصولجان السحرى للملك تحتمس وقبل دعوة « تحوتى » المرابط خارج الحصن الى وليمة أقـامها خصيصا لتأكيد ولائه لسموه .

وسالت فى هذه الوليمة أنهار الخمر حتى سكر الأمير « يوبا » وجميع حراسه ، وعندما بلغت نشوة الأمير أقصى حدودها ، طلب من « تحوتى » أن يسلم اليه صولجان تحتمس الذى وعد به . فقام تحوتى ، وأحضر هراوة ضخمة ، وقال :

ـ انظر يا أمير يافا ، وحاكم سوريا ، هذا هو صولجان تحتمس الثـالث ، الأسد الذى يكشر عن أنيابه . وهو الصولجان الذى أعطاه اياه أبوه « آمون » لينتصر به على أعدائه . .



● على بابا والأربعين حرامى

ثم رفع الهرواة . وهوى بها على رأس الأمير فسقط مغشيا عليه . وفى نفس الوقت أطبق جنود « تحوتى » على حرس الأمير . وأصبح الجميع أسرى ، مقيدين ، فى قبضة المصريين .

وأسرع « تحوتى » ينفذ الجزء الثانى من خطته .

أحضر مائتى قدر . ووضع فى كل قدر جنديا من المحاربين الأشداء ، مسلحا بالأقواس والسهام وباقى المهمات ، وحمل كل اثنين من القدوة على حصان. . ثم تخفى فى زى سائس وقاد هذه القافلة كلها الى الحصن . ومعه عدو من جنود الأمير الذين وقعوا فى قبضته .

وأمام باب الحصن زعم « تحوتى » أن القافلة تحمل هدايا لأميرة يافا ، زوجة الأمير . وأيده فى هذا الكلام جنود الأمير الذين جاء بهم معه .

وفتح الحراس الأبواب مرحبين . ودخلت القافلة الى ساحة القلعة .

ثم فجاة خرج المقاتلون من القدور . وانتشروا فى انحاء القلعة . واستولوا عليها .

وهكذا سقطت يافا فى قبضة الجيش المصرى . وكتب « تحوتى » الى تحتمس الثالث هذه البردية . . يروى فيها قصة الخدعة التى أستولى بها على يافا . ويقول له : فلتهنأ أيها الملك العظيم برعاية والدك « آمون » . . الذى أرتفعت رايته على أرض « يوبا » . فقد أصبح أمير « يوبا » وكل قومه ومدينته صرعى تحت قدميك الى أبد الابدين . وسنحملهم اليكم أسرى لتملأ معبد أبيك « آمون » بالعبيد . . ذكروا واناثا !

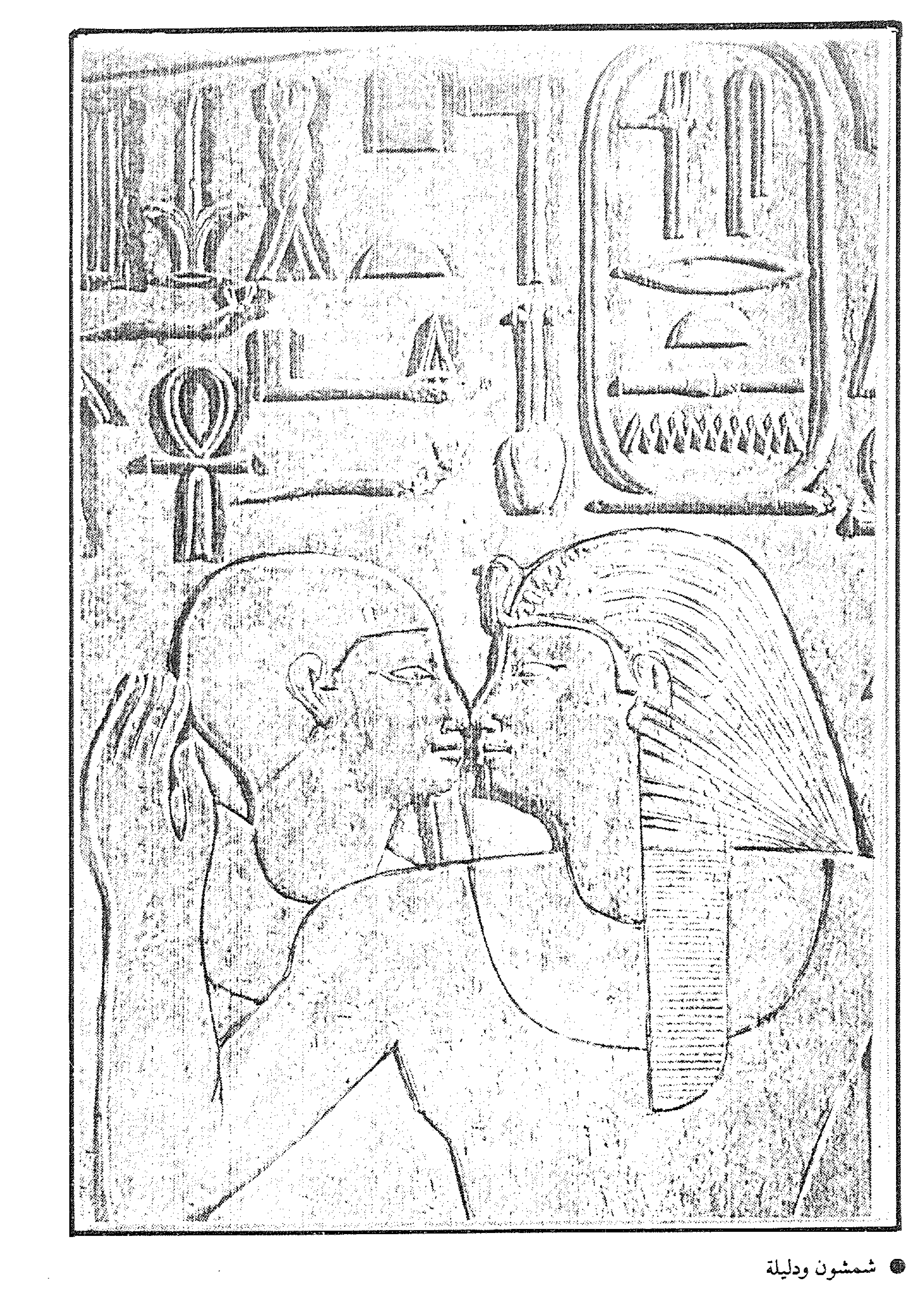
هل يمكن أن يكون الشبه بين هذه القصة وبين قصة على بابا وحصار طروادة مجرد توارد خواطر؟

أن هذه القصص التى رويناها مجرد أمثلة . لا أكثر !

شمشون ودليلة أصلها ..
عملاق جزيرة الشياطين

وهذه حكاية ثانية من حكايات الكاتب المصرى الجالس القرفصاء ، والتى اقتبسها كتاب العالم الحديث وأشتهرت وأشتهروا بها ، دون أن يعرف العالم أصولها القديمة التى ترجع الى هذا الكاتب المتواضع الذى مات منذ آلاف السنين . . الحكاية هذه المرة وجدت مدونة على قطع متفرقة من لوحات الاستراكا ، ومنقوشه على الأحجار فى حفريات سقارة . . وقد قام بترجمتها أكثر من كاتب على مختلف العصور ، من بينهم « مارش » فى كتابه : حكايات الزمن القديم . و « بروكسبانك » فى : أساطير الفراعنة ، و : تراجم الأدب فى الدولة القديمة ، لسليم حسن . . .

ولسوف يدهشك أن تلك القصة القديمة التى كتبت منذ بضعة آلاف من السنين ، هى الأصل الحقيقى للقصة المشهورة ، شمشون ودليله . . !



● شمشون ودليلة

كان فى قديم الزمان عملاق ضخم الجسم أسود اللون بشع المنظر ، يسكن فى جزيرة نائية خلف شلالات النيل ، وكان شديد البأس ذا قوة خارقة جعلت الجميع يخشون بطشه ويرتعدون خوفا منه . .

ولم يكن أحد يجرؤ على الأقتراب من الجزيرة وجعلت الجميع ينشرون حولها الخرافات ، وساد الاعتقاد بأن الجزيرة تسكنها الشياطين . . وكان العملاق الضخم يعيش وحيدا فى الجزيرة فى كوخ مقام من جذوع النخيل وسط غابة كثيفة من أشجار الدوم وشجرة كبيرة من أشجار السنديان النادر تمتد فروعها مرتفعة فى السماء لتستقبل أوراقها الفضية أشعة الشمس الذهبية وهى تطل من أفق الشروق ولا تغفل عنها حتى تودعها وهى تغيب فى أفق الغروب .

ولم يكن يوجد بالجزيرة من الحيوانات الا الأفاعى الضخمة والزواحف التى تجوب أرجاءها عندما يخيم الظلام وينام العملاق . . وتحيط بشواطئها التماسيح المفترسة التى يخشاها الصيادون وتمنعهم من الأقتراب بقواربهم منها ، كما تعودت سفن الملاحة أن تتفادى الأقتراب من شواطئها وقد ساد الاعتقاد بين الملاحين أن تلك التماسيح ما هى الا شياطين النهر التى تحرس الجزيرة وتتلقف القرابين البشرية لتقديمها اليه .

وتنتقل القصة إلى وصف رحلة من رحلات صيد البط والأسماك والترفيه بالعزف والغناء التى يقوم بها الشباب فى الليالى القمرية فى أعياد الربيع . . الى أن تهب عاصفة عارمة من عواصف غضبات النهر فتعصف رياحها العاتيه بقوارب الصيد وينقلب بعضها ويذهب كثير من ركابها قربانا له . .

وهنا يجرف تيار النهر العاتى أنقاض قارب صغير تعلقت به حسناء جميله وصفت بأنها أجمل جميلات مدينة طيبة « ت أبت » يطلق عليها اسم ضياء

الشمس وكان يتبعها تمساح ضخم كاد يفتك بها قبل أن تقذف الأمواج بها الى شاطىء الجزيرة .

وكان العملاق الضخم يرقبها وهو يقف ممدود القامة كشجرة من أشجار الدوم التى يقف بينها . وما أن شاهد التمساح الذى كاد أن يفتك بها حتى هجم عليه ورفعه بيديه القويتين فى الهواء ـ وكان طوله أربعة عشر ذراعا ـ ثم القى به على الشاطىء بعيدا عنها . ولما حاول التمساح مهاجمته قبض على فكيه وفصلهما بيديه القويتين عن بعضهما ومزقهما ، ثم يتقدم العملاق من « ضياء الشمس » التى تقف فى ذهول مما رأت وحملها بين ذراعيه وسار بها إلى كوخه .

ويدور حوار بين « ضياء الشمس والعملاق فتقول له انها لا تعرف كيف تشكر الآلهة التى استجابت لتضرعاتها ودعائها فأرسلته لانقاذها ؟

فيرد عليها بأنه هو الذى لا يعرف كيف يشكر الآلهه التى قبلت صلواته وتضرعاته ووهبته الزوجه الجميله لتؤنس وحدته . وأخذ العملاق يلاطفها ويتودد اليها ولكنها وجدته متوحشا يجمع بين الدمامة والقبح لدرجة لم تستطيع معها مجرد النظر اليه ، ولم تجد ما تفعله سوى البكاء طول اليوم . . ولكنها عرفت أن مهما صرخت أو استغاثت أو أستعانت بالصبر فلن يمكن لأحد أن ينقذها أو يخلصها من ذلك العملاق المتوحش . وقد غضب العملاق غضبا شديدا وخيرها بين أن تتزوجه أو يلقى بها إلى التماسيح فى النيل التى سرعان ما تفترسها وتمزقها .

فأخذت تتودد اليه حتى اطمأن اليها فقالت كيف أرفض الزواج منك وقد أرسلتنى الآلهه خصيصا لك استجابة لدعواتك ان كل ما أطلبه أن نتزوج زواجا ترضاه الآلهه ولا يغضبها .

فسألها ـ كيف ومتى يتم هذا الزواج ؟

فقالت ـ سيتم ذلك الزواج على يد آله المعبد الذى سيرسل لنا رسالة من رسائله تحملها معجزة من معجزاته تصل قبل عودة القمر أو فى مثل هذه الليلة بعد شهر قمرى .

فسألها ـ واذا لم تصل الرسالة ؟

قالت ـ معناه موافقة الآلهه وعدم اعتراضها وبذلك أصبح أمامك وأمامهم شريكه حياتك .

وبدأت تتقرب منه وتتودد اليه بعد أن أطمأن اليها وتحاول أن تدخل السرور إلى نفسه والغرور الى قلبه فتمتدح حجمه الضخم وقوته الخارقة وهى تقول ـ انى قبلت الزواج منك لقوتك وشجاعتك التى تجعل جميع الرجال يخشونك . وليس هناك من يمكنه أن يقهرك أو يتغلب عليك . . وان كان ينقصك الجمال فان عندى تميمه حتحور وبها سر جمالى الرائع الذى يجعل كل فتاة أخرى فى مصر تبدو الى جانبه دميمة ، جمال دائم وخالد تزيده الايام نضارة وشبابا ما دمت أحتفظ بتميمة سره ، وسوف أطلعك عليها لأنى أريد أن أفخر بأنـك أقوى وأشجع رجال المدينه . . وأجمـل شبابهـا . . بعد أن تـطلعنى أنت على سـر قوتك .

فقال لها العملاق الذى كان مسرورا بمديحها سعيدا بتملقها وهـو مأخـوذ بسحر جمالها ـ « ليس هناك ضرر فى أن أخبرك بذلك السر . . أن سر قوتى هو قلبى الـذى يبلغ من الحجم والقـوة بحيث لا يمكننى أن أحتفظ بـــه داخـل جسدى » .

فصاحت ضياء الشمس اذا كـان قلبك كبيـرا لدرجـة ان لا مكان لـه فى جسمك ولا يمكنك أن تحتفظ بهذا القلب العظيم بين ضلوعك فأين تحتفظ بمثل هذا القلب المدهش ؟

فتنهد العملاق الضخم وأجاب هذا هو سرى وسر قوتى ولكن حيث أنك ستصبحين شريكة حياتى فلا خوف من أن أخبرك عن المخبأ الأمين الذى أحتفظ فيه بقلبى . .

أن ذلك المخبأ يقع بين غصون قمة السنديانه الكبيرة التى تظلل الشاطىء الجنوبى للجزيرة ، وطالما بقى فى ذلك المخبأ المحصن لن يسطيع أى انسان أو حيوان أو وحش ضار أن يواجهنى أو يتحدانى .

فسألته ألا تخشى أن يصل اليه أو يسرقه أحد . .

فقال لها لا يمكن أن يقترب أحد من الشجرة التى يقوم على حراستها ثعبان ضخم له رأس كرأس الثور يعلوه قرنان ملتويان ، وله عينان يلمعان بلون أحمر كاللهب ، وهو يلتف بجسمه الفضى اللون حول جذع السنديانه ولا يفارقها طوال الليل والنهار .

وانتظرت ضياء الشمس أسبوعين حتى وصل الفيضان وارتفعت مياه النهر على الشاطى وغمرت جذع السنديانه . . وعندما انتصف الليل وغلب النوم العملاق وعلا شخيره كالرعد الذى يزلزل الجزيرة فترتعد منه حيواناتها وطيورها وزواحفها . فتطمئن « ضياء الشمس » الى أن العملاق يغط فى سبات عميق فتتسلل بهدوء الى خارج الكوخ وتخطو وهى تزحف بحذر بين الأعشاب وعيدان غاب الشاطىء حتى تكون فى مأمن من تماسيح النهر وحيات البر حتى تصل الى شجرة السنديان التى تكون مياه الفيضان قد أحاطت بجذعها وغمرته . . فابتعدت الحية الكبيرة التى تحرسها وزحفت الى أعلا التل حتى ينحسر الفيضان ـ وابتعدت التماسيح عن الشاطىء الجنوبى للجزيرة الى الشواطى الأخرى حتى لا يجرفها التيار وأمواجه المتلاطمه . فتسبح « ضياء الشمس »

حتى تبلغ جذع السنديانه فتتسلقه بهدوء وهى تحتمى بين أغصانها حتى تصل إلى السلة المعلقة فى طرف السنديانه فتفك رباطها فتسقط السلة بحملها الثقيل فى النهر فتجرفها أمواج تياره الدافقه الى حيث الشلالات وصخورها الجرانيتية لتتحطم عليها

وتعود ضياء الشمس الى الكوخ فتنام فى ركن من أركانه كعادتها حتى يستيقظ العملاق مع طلوع الفجر . وتطلب منه أن يحضر لها جذعا من جذوع شجر الدوم لسد بعض الفتحات فى حوائط الكوخ حتى لا تتسلل منها الأفاعى لتفترسها فى الليل ، وكان من عاداته أستعراضا لقوته الخارقة أمامها أن يحتضن الأشجار الضخمةمن جذوعها ويخلعها من جذورها . . وقد راقبته هذه المرة وهو يفشل فى تحريكها بعد أن خانته قوة عضلاته ، فتأكدت من أن مكيدتها قد نجحت فى سلب قوته بعد كشف سرها .

فذهبت للاستجمام كعادتها كل صباح على شاطى الجزيرة وراحت تصرخ مستنجدة به مدعيه أن أحد التماسيح قد هاجمها وأراد أختطافها وأشارت له على تمساح ضخم يرقد بين الأعشاب فذهب اليه وحاول رفعه فى الهواء والقاءه على الشاطىء كما تعود أن يفعل دائما اظهارا لقوته امامها فاذا بالتمساح الضخم يلقيه هو على الأرض ويدور بينهما صراع عنيف ينتهى بأن يطبق التمساح فكيه القويتين على ساقه ويسحبه ليختفى به فى قاع النهر .

فتجرى « ضياء الشمس » حتى تبلغ الشاطىء الجنوبى وتجلس فى ظل السنديانه الكبيره التى يغمر الماء جذعها وتقص خصلة من شعرها الأسود الطويل الذى يصل الى قدميها والذى تميزت به بين جميلات مدينة طيبة .

وتلتقط فرعا من فروع السنديانه المتساقطة وتربط به الخصله بعناية فائقة وتلقيه فى تيار النهر المقدس الذى تصلى له وتأتمنه على توصيله لأهلها وحبيبها .

وتذهب كل يوم لتتسلق السنديانه فى الليل وتجلس فوق غصون قمتها العاليه لتكون فى مأمن من وحوش الجزيرة وأفاعيها بالليل وترقب فى ضوء القمر الذى بدأ فى التكامل السفن التى تعبر النهر بعيدا عن الجزيرة خوفا من لعنة شياطينها . لكن احساسها يؤكد لها بأن قاربا واحدا سيأتى فى اتجاه الجزيرة يحمل أميرها المحبوب عندما يكتمل القمر ويضىء له الطريق .

خلال ذلك الأنتظار الذى تأرجح بين اليأس والأمل لعدة أيام يكون فرع السنديانه الذى يحمل الخصله الطويلة السوداء قد جرفه التيار قرب شاطىء مدينة طيبة فيلتقطه أحد الصيادين بشباكة ، وما أن يرى الخصلة السوداء الطويلة التى أشتهرت بها الجميلة ضياء الشمس أجمل بنات طيبة حتى يهرع بها مسرعا الى قصر الأمير الحزين يحمل اليه البشرى الجميلة .

ويسرع الأمير فى طلب عراف معبد آمون الذى يسأله عن صاحبة الخصلة ومكانها ومصيرها . فيقوم العراف باستخارة آلهته وهو يقلب الخصلة اللامعة بين يديه يقول : ان تلك الخصلة من ضفائر أجمل جميلات طيبة التى تحمل تميمة حتحور التى تحفظها وتحفظ جمالها ـ انها لا تزال حية لأن الخصلة قد ربطت بعناية واحكام فى فرع شجرة من أشجار السنديان التى لا تنمو فى تلك البلاد ولا يوجد منها الا شجرة واحدة تعلو جزيرة الشياطين الواقعة فى بلاد النوبة خلف الشلالات وستعود اليك عندما يتكامل القمر فتسقط من السماء بين يديك قبل أن يلمس قاربك شاطىء الجزيرة .

لم يكد العراف ينتهى من كلامه حتى أسرع الأمير الى عربته وأندفع بأقصى

ما يستطيع من سرعة وتبعه بعض حرسه وأتباعه الأشداء بعرباتهم وأخذت عربته تميل من جهة الى أخرى بتأثير السرعة ويسير فوق عجلة واحدة فتارة فوق العجلة اليمنى وتارة فوق العجلة اليسرى ولم تستقر العربة أبدا فوق العجلتين وهى تقفز فوق الشاطىء الصخرى الوعر حتى بلغ موضع الجزيرة فى الموعد المحدد باكتمال البدر وقد استدل على الجزيرة بالسنديانه الشاهقة التى بدت كالعملاق الفضى فى ضوء القمر . ويقذف الأمير بنفسه فى قارب من قوارب الصيد الراسية على الشاطىء ويجدف بأقصى قوته متجها الى الجزيرة ولم يستمع الى نصائح الصيادين الذين طلبوا منه ألا يجازف بحياته فيقع أسير شياطين الجزيرة وعملاقها الأسطورى المتوحش ، أو أن ينتظر حتى يذهب برفقة حراسه وجنوده الأشداء بأسلحتهم وعتادهم .

وكانت « ضياء الشمس » تجلس كعادتها كل ليلة فى مكانها المختار فوق قمة السنديانه تراقب تحركات قوارب الصيد التى تتهادى فوق سطح النهر وتتفادى

فى مسيرها الأقتراب من شواطىء الجزيرة المشؤومة اذا بها تشاهد قاربا يتجه وحيدا الى الجزيرة مباشرة فقفز قلبها فى صدرها من الفرحة لأنها تأكدت بأنه فارسها المحبوب الذى سيصل مع اكتمال القمر فترجلت بسرعة وهى تقفز بخفة ورشاقة بين الأغصان حتى وصلت إلى الفروع الكبيرة الممتدة فوق ماء النهر التى كان القارب يمر تحتها قبل أن يلامس الشاطىء واذا بها تقذف بنفسها لتسقط فى القارب بين يديه وهكذا تحققت نبوءة العراف عندما قال : « ستعود اليك عندما يتكامل القمر . فتسقط من السماء بين يديك قبل أن يلمس قاربك شاطىء الجزيرة » .

وتنتهى القصة بعودة « ضياء الشمس » الى طيبة التى تدخلها كتمثال آلهه

الجمال بجوار الأمير الشاب فى عربته التى كانت تسابق الـريح الـذى يعبث بخصلات شعرها الأسود الجميل .

وتزوجت ضياء الشمس من أمير مصر وصارت ملكة تحدث الناس عنها بأنها كانت أحسن وأجمل ملكة حكمت على أرض مصر .

●

الف ليله وليله

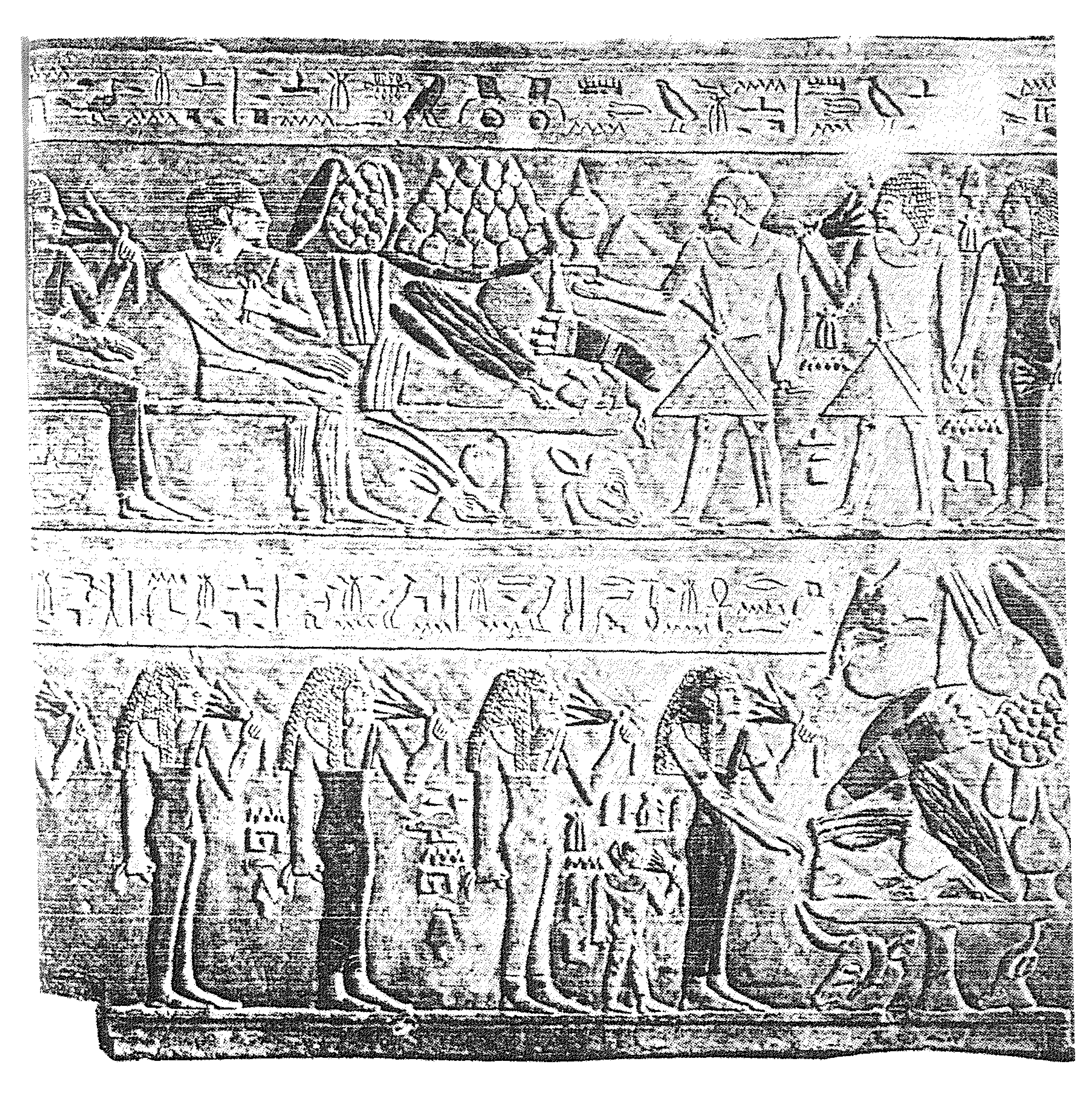
ونصل الى حكايات ألف ليلة وليلة الشهيرة والتى أدعت عدة شعوب من الشرق والغرب أنها ابداع خاص بها أنجبته قريحة أبنائها .

ولكن الكشف التاريخى المثير الذى ننفرد بنشره يرد للكاتب المصرى الجالس القرفصاء اعتباره فهو صاحب الفضل الأول فى ابداع « ألف ليلة وليلة »

. . وتعالوا نقرأ برديات ما كتبه ذلك الجالس القرفصاء !

- برديات وستكار !

فى برديات وستكار التى ترجع الى الدولة القديمة ٢٨٠٠ ق . م وتعتبر من أشهر البرديات التى أبدع فيها الأديب المصرى القديم فى عالم السحر والأساطير



● الف ليلة وليلة

كما تعتبر فى نفس الوقت تطورا فى أدب القصة والخروج بها من اطار أساطير العقيدة الى حياة المجتمع !

وتشبه قصص برديات وستكار فى طريقة سردها وتسلسلها وتعاقبها واحدة بعد الأخرى قصص ألف ليلة وليلة المعروفة . وهى قصص رويت على ألسنة الأمراء التسعة من أولاد الملك خوفو فى مجالس سمره والتى كان يجمع فيها الحكماء والندماء والأدباء والسحرة من معلمى أولاده .

كان كل أمير يروى فى ليلة من الليالى فى مجلس السمر قصة من قصص معجزات السحر وجولات الفكر فى عالم الخيال . كانوا يجمعونها عن رواتها بواسطة أعوانهم ومعلميهم وعن حلقات السحر بالمعابد ويقومون بتدوينها ونسخها وتلاوتها فى حضرة الملك فى المجلس .

- **قرط الأميرة والساحر !؟**

ومن امثلة قصص ألف ليلة وليلة الفرعونية قصة « جاجام عنخ » وتحكى القصة كيف خرج الملك سنفرو للتنزه فى بحيرة القصر مع الأميرة « مروى » فى سفينته ذات المقصورة الذهبية ـ التى أبدع الأديب فى سحرها ـ وقام بالتجديف

عشرون وصيفة من أجمل العذارى ذوات أجمل الصدور والجوارح ولا يستر أجسامهن سوى غلالات من شباك الصيد وكن يجدفن بمجاديف مكسوة برقائق الذهب على أنغام القيثارات ونقر الدفوف .

ثم تشرح القصة كيف فقدت الأميرة قرطها الذى سقط منها فى الماء ـ وكان على شكل سمكة من الذهب والفيروز ـ بينما كانت الأميرة تتغزل فى جمال وجهها المنعكس على صفحة الماء فتشاءمت الأميرة وانتابها الحزن وامر سنفرو باستدعاء « جاجام عنخ » ساحر معبد أمون بمنف الذى ركع على شاطىء البركة

وتلا عزائمه السحرية ثم ضرب سطح الماء بعصاه فانشق ماء البحيرة الذى كان عمقها اثنى عشرذراعا . فانكشف قاع البحيرة وظهر القرط الذهبى فنزل سنفرو والتقطه بنفسه ليسلمه للأميرة فعادت الأفراح وكافأ فرعون « جاجام عنخ » مكافأة سخية وعينة ساحرا خاصا لقصر فرعون .

● الزوجة الخائنة والتمساح الشمعى !

ومن القصص التى حوتها نفس برديات وستكار قصة « الزوجة الخائنة والتمساح الشمعى » التى تحكى كيف صنع الساحر « أوبا أونر » تمساحا من الشمع طوله نصف ذراع وألقاه فى البحيرة التى كانت الزوجة الخائنة تقابل فيها عشيقها أثناء غياب زوجها فى رحلاته مع الملك . . وكيف تحول تمثال الشمع الى تمساح ضخم حى قبض على العشيق ، وغاص به تحت الماء واحتفظ به فى قاع البحيرة لعدة أيام حتى أتى الكاهن وأمره بالخروج به الى سطح الماء ليراه زوجها والشهود ثم أمره بافتراسه وتحول التمساح مرة أخرى الى تمثال صغير من الشمع حمله الساحر معه فى صندوقه الخشبى الخاص ثم أمر الزوجة الخائنة بأن تلقى بنفسها فى البحيرة لتلحق بعشيقها .

وفى قصة « تميمة حتحور » وهى من بين القصص لم تصل الينا كاملة فهى تحكى قصة الأختين مريت وتارى حيث يعجب الأمير تاوى بالأخت الصغرى ويقع فى حبها فتلجأ الأخت الكبرى إلى ساحر معبد حتحور آلهة الحب والجمال فيعد لها تميمتين عبارة عن نصفى قلب زود كل منهما بتعاويذ خاصة ويطلب منها أن تحمل احداهما وتعلق الأخرى على عنق الأمير ، فتقوم التميمة بالتأثير على حاملها والسيطرة عليه ليخضع لمشيئة الآخر ويربطهما ببعضهما برباط لا يمكن فصله وعند زيارة الأمير لهما فى البيت غافلته مريت ووضعت التميمة فى قلادة صدره ضمن ما يحمله من تمائم .

وبالفعل تحقق تأثير التميمة حيث سرعان ما تحول حبه عن اختها ووقع الأمير
أسير التميمة حيث سرعان ما تحول حبه عن اختها ووقع الأمير أسير غرامها وطوع مشيئتها وأمرته أن يسرع بتحديد ميعاد مصاحبتها الى المعبد لعقد قرانه عليها .

وهنا تلجأ الأخت الصغرى عندما كشفت خديعة أختها ـ وسر التميمة التى يحملها الأمير ـ الى احدى صديقاتها من وصيفات الأمير وتتفق معها على سرقة تميمة حتحور من قلادته واحضارها اليها بعد ما وعدتها باهدائها جوهرة ثمينة من جواهرها لقاء قيامها بتلك المهمة .

وتنجح الوصيفة فى نزع التميمة من القلادة واحضارها اليها . وتقوم تارى بدورها باهداء التميمة لعبد دميم من عبيد القصر تقرير لا خلاصة فى خدمة سيده ونشاطه فى العمل بالقصر وتحدث المفاجأة وتعمل التميمة عملها فينجذب العبد نحو مريت ويسعى للقائها فتقابله بالحديقة ويقع كل منهما فى حب الآخر فتهرب معه خوفا من بطش الأمير .

وبذلك يخلو الجو لتارى والأمير الذى يعود اليها معتذرا عن تصرفاته نحوها وعندما عرف بقصة التميمة أخذ تارى معه الى معبد حتحور حيث عقد قرانه عليها وطلب من الساحر ابطال عمل التميمة انتقاما من مريت والعبد حيث سيفيقان من الحب على الكراهية والحقد ويهرب كل منهما من الآخر !

● **عازف الناى الأخرس !**

ومن بين قصص ألف ليلة الفرعونية التى ترجع الى الدولة القديمة أيضا قصة « عازف الناى الأخرس » تحكى الأسطورة قصة « اى نو » الراعى العاشق

الأخرس الذى كان يبكى حبه وهو جالس على شاطىء النيل ويرفع شكواه الى « سين » آله القمر وقد حرمته الحياة من نعمة النطق لأن لسانه عاجز عن التعبير عما يريد أن يقوله ليعبربه عن حبه للجميلة « تاميو » فأرسل له القمر احدى عرائس النهر التى طفت بين ثنايا الشعاع الفضى الذى يكسو صفحة الماء لتستمع الى شكواه وتستجيب لدعائه فتقدمت منه ونزعت عودا من أعواد الغاب الذى يكسو الشاطىء وقدمته له وطلبت منه أن ينفخ فى العود بأحاسيس قلبه وما يريد أن ينطق به .

وتصف الأسطورة كيف تساقطت دموعه الحارة على غابة الناى فحفرت الثقوب التى خرجت منها أول وأجمل أنغام الحب .

وتستمر القصة وأحداثها لتنتهى بخروج حبيبته من القصر باحثة عن مصدر تلك المناجاة التى تنطق بكل معانى الحب وينير اليها القمر الطريق بين المزارع لتصل الى مصدر تلك المناجاة التى تنطق بكل معانى الحب .

وهكذا جمع الناى « أى نو » بحبيبته « تاميو » التى سمعت صوت نداء قلبه عن طريق أنغام نايه .

تحوى برديات هاريس التى تعود الى الأسرة الثانية عشرة مجموعة كبيرة من القصص المماثلة التى تتشابه فى كثير من وقائعها وأسلوب سردها مع قصص ألف ليلة وليلة المعروفة وبعض القصص قد كتبت بأسلوب مسرحى مما يرجح بعض المؤرخين انها كانت تمثل فى المسارح الشعبية والأعياد أسوة بالمسرحيات الدينية المشهورة التى كانت تمثل فى المعابد وفى الأعياد الدينية .

لقد وجد بين برديات مقابر الدولة الوسطى بعض الصفحات المتفرقة ونصوص غير كاملة لبعض القصص المسرحية من بينها مشهد أو مقطع من قصة

« عودة المحارب » التي يحتفظ بها متحف برلين والتي يعتبرها نقاد الأدب العالمي نموذجا لأروع ما وصل اليه الخيال في القصة المسرحية .

وتصف البردية منظر الأميرة وهي تجلس في شرفة قصرها المطل على النيل تحتضن ابنها الطفل الذي يسألها عن أخبار عودة أبيه البطل الذي يقود جيش فرعون ويقاتل الأعداء في وادي القمر (سينا) ، وقد وعده بأنه سيحضر له هدية عبارة عن سيف ذهبي من سيوف قواد الأعداء الذين سيقتلهم .

يقطع السكون صوت أحد صيادي السمك وهو يغني بصوته الجميل بمصاحبة ضربات مجاديف قاربه الذي يعبر به النهر .

فيسأل الطفل أمه ـ لماذا يغني الصياد وهو يجدف فترد عليه بقولها « يا ولدي أن النهر هو نهر الحياة بشاطئيها . . والرحلة بين الشاطئين هي رحلة الوجود انها رحلة طويلة وشاقة وضربات السواعد تحتاج الى مجهود مضن ومستمر للعيش وكسب الرزق لبلوغ نهايتها بسلام .

والرحلة تحتاج الى زاد من المجهود الجسماني والعقلي المتواصل فلكي ينسى الإنسان تعبه فإنه يغني ليسلي نفسه ويتغلب على تعبه وملله ويقطع وقته !

وبينما هي مسترسلة في حديثها الذي نسيت أنه لا يتفق مع سن طفلها تلتفت اليه فاذا به ينعم بسبات عميق سعيدا بأحلامه التي نقلته الى عالمه . وتترك مكانها لتتوقف عند حافة الشرفة لتتطلع الى القمر الذي بدأ يأخذ مكانه في قبة السماء وبدأت تناجيه بسؤالها « يا رسول الآله في سماء الليل يا من تحرس الكائنات وترعاها في سكون الليل لقد طلبت بالأمس أن أسألك عما أريد . . أسألك عن الغائب في المجهول ! » .

ما هو سر الوجود ؟ فأجابها القمر على سؤالها برسالة كتبها بأشعته الفضية

على صفحة الماء ـ حاولت أن تفهم منها شيئا فعجزت عن حل رموزها . فقالت له تلك الرسالة لا يمكن فك رموزها لقراءة فحواها ؟

فرد عليها . . وهكذا سر الوجود علمه عند رب الأرباب الآله الأعظم وليس للآلهه أو البشر فى الاطلاع عليه . . أو حتى السؤال عنه .

وأعتذرت للقمر على جرأتها للسؤال وطلبت منه أن ينبئها أو ينقل اليها أخبار حبيبها الغائب والذى يحارب على أرض سينا (وادى سين) .

ويكمل القمر رحلته فى قبة السماء ويعود فى اليوم الثانى ليجدها فى انتظاره حاملا اليها رسالة حبيبها المحارب كما وعدها ويخط لها الرسالة على صفحة الماء بأشعته الفضية بخط أمكنها فك رموزه وقراءته وتناجى القمر فى صلواتها كل يوم وتحمله الرد على الرسالة وتبثه أشواقها لرؤياه ولهفتها للقائه !

وتمر الأيام . . وهى على أشد اللهفة لاستقبال القمر وهو يحمل رسالة حبيبها التى طال غيابها واذا بوجه القمر تحجبه سحابة قاتمة ترد على سؤالها بدموع سين وهى تتساقط من خلال السحاب وتصرخ وهى تسأل القمر عن رسالة حبيبها ولكن السحابة تحجب أشعة القمر أو ذراعه من أن تمتد لتخط الرسالة على صفحة الماء .

وتتساقط قطرات ماء المطر من السحاب الذى أخفى وجه القمر لتعبر عن دموع حزنه على الخبر المشؤوم الذى نقلها إليه .

ويتوقف الحوار المسرحى الرائع عند ذلك المقطع من البردية وربما تكشف الأيام عن بقيتها التى قد تكون فى حوزة مخازن دور الآثار العالمية ضمن مئات البرديات التى لم تترجم بعد .



مونت كريستو
مغامرات.. ون امون

ان مغامرات « ون امون » التى اكتشفت بردياتها فى احدى مقابـر الأسرة العشـرين فى مدينـة طيبة تعتبـر من أروع نماذج أدب المغـامرات فى الـدولـة الحديثة .

وهى قصة كاهن من كهنة معبد آمون يروى مغامراته فى رحلة قام بها من طيبة بأمر « حريحور » حـاكم طيبة وكاهنها الأكبر للذهـاب الى سوريـا لشراء خشب الأرز اللازم لتجديد زورق آمون المقدس .

ويظهر من الوثيقة التى دونت بها القصة أن العلاقات السياسية بين مصر وسوريا لم تكن على ما يرام حيث منع حكـام سوريـا تصديـر أخشاب الأرز اللازمة لصناعة الزوارق المقدسة ومراكب الشمس والتوابيت والأثاث الجنائزى بالمعابد بالاضافة الى الأخشاب العطرية اللازمة للبخور .

وقد تطوع « ون آمون » بالقيام بتلك المغامرة والسفر الى بيبلوس لاحضار الأخشاب المطلوبة فزوده حريحور بتمثال من البرونز للآله آمون لحمايته ويطلق عليه اسم « آمون رفيق الطريق » .

وبعد مغادرة مدينة طيبة عرج « ون آمون » فى طريق رحلته على « سمندس » حاكم تانيس لمعاونته ماليا ، فلما علم سمندس أن الخشب مطلوب لزورق آمون المقدس زوده بالذهب والفضة اللازمين لشراء الخشب والبخور اللازمين للمعبد كقربان منه شخصيا للآله . وأمده ببعض الهدايا النفيسة من العاج والبردى ونسيج الكتان ومصنوعات مصر القيمة .

وأبحر ون آمون فى سفينته الشراعية بصحبة مجموعة من أمهر ملاحى مصر الأشداء . وكانت « دور » أول مدينة وصلوا اليها على الشاطىء الفينيقى بعد رحلة استغرقت شهرين أستعانوا فيها بالقبة السماوية فى تحديد خط السير ومعرفة اتجاه الريح وأحوال البحر .

وبينما كان ملاحو السفينة يستريحون على الشاطىء من عناء الرحلة تربصت بهم عصابة من أهل « ثاكر » تسللوا الى السفينة فى غفلة من ملاحيها وسرقوا ما بها من ذهب وفضة كما سرقوا الهدايا التى حملها و ن آمون معه ليقدمها الى حاكم بيبلوس من سمندس ملك مصر .

لما تقدم ون امون بالشكوى لحاكم « دور » نفى الأخير مسئوليته عن رد المسروقات ، وبعد أن غادر ون آمون مدينة دور فى طريقه الى بيبلوس اكتشف بالقرب من شاطىء المدينة مخيما لاحدى قبائل الثاكر التى ينتمى اليها سارقو الذهب والفضة من سفينته وقد دله عليهم تمثال « رفيق الطريق » فباغتهم برجاله فى الليل ووجدها فرصة لاغتصاب أموالهم تعويضا أو رهنا حتى يسترد ما فقد من أموال آمون .

يستمر ون آمون فى رحلته ليصل الى بيبلوس عند شروق الشمس وكانت اخبار رحلته وقصته مع أهل ثاكر قد سبقته اليها عن طريق رسل حاكم دور الذى كان يكره المصرين . فرفض أمير بيبلوس اقامته فى بلده تجنبا للمشاكل خاصة عندما أخبروه أن ون أمون هو الذى سرق اهل ثاكر وليس العكس وطلبوا تفتيش سفينته للتأكد مما تحمله مما سرقه من أهل ثاكر كما اخبره حاكم دور .

ويشرح ون أمون فى برديات القصة كيف قضى أياما طويلة فى محاولة مقابلة الامير شخصيا ورفضه مغادرة الميناء قبل أن يحقق رغبة الآله أمون التى لا يمكنه العودة إلى مصر قبل تحقيقها .

وهنا يتذكر « ون أمون » تمثال رفيق الطريق الذى كان قد اخفاه طوال تلك المدة فى قاع السفينة خوفا عليه من السرقة فيلجأ الى استخارته فتتحقق المعجزة فورا واذا بالأمير يرسل اليه رسولا يدعوه لزيارته .

عرف ون أمون أن رسل الأمير الذين قاموا بتفتيش السفينة للتأكد من دعوى أهل ثاكر وحاكم دور وأخطروا الأمير بعد تفتيش السفينة أن دعواهم ليس لها نصيب من الصحة كما عرف ون أمون عندما استخار «رفيق الطريق » انه هو الذى اعماهم عن رؤ ية المسروقات ولو أنها كانت فى مكان ظاهر على ظهر السفينة وليست فى مخابئها التى قاموا بتفتيشها .

وصف مون أمون مقابلته لأمير بيبلوس بقوله « كان الأمير الذى عرف بضخامة الجسم وشراسة الطباع جالسا فى ايوائه الخاص بالدور العلوى بقصره الذى يطل على الميناء وظهره للنافذة المطلة على البحر السورى بامواجه المتلاطمة وعواصفه المتشابكة .

ويدور حوار عنيف بين الأمير و « ون أمون » بوصف رحلته بأنها « مغامرات أطفال واعمال قرصان » ويسخر من حارسه الآلهى رفيق الطريق الذى لم يتمكن من حفظ الاموال التى أرسلها الآله أمون لشراء الاخشاب والذى يدعى انها سرقت منه بينما يعلم الأمير انه هو الذى سرق أموال الثاكر ويرفض أن يعطيه الأخشاب الا بعد دفع ثمنها . فالأخشاب ملك له وحده وليست ملكا لمصر أولا لـأمون .

ويدور فى البردية حوار طويل يقول فيه ون أمون أن اخشاب الأرز ملك لأمون وما الأمير الا حارس عليها وأن « لبانو » لبنان التى تنمو بها أشجار تلك الاخشاب هى مزرعة الآله ويحمل الأمير تبعه مسئولية رفضه ارسال أخشاب الزورق المقدس .

وهنا يثور أحد شباب العائلة من الحرس الخاص للأمير ـ وتصفه البردية فى مكان آخر انه أكبر ابناء الأمير ـ ويتطاول على ون أمون ويحاول مبارزته وقتله ويتهمه هو والهته بالدجل فيتدخل الأمير ويمنع ابنه من قتله لأن ون أمون لا يحمل سلاحا يدافع عن نفسه .

يصرخ ابن الأمير فى ون أمون ويقول له : ما لآلهك اخرس لا ينطق فلينقذ حياتك . ويأمر الأميرون أمون بالعودة إلى سفينته ومغادرة بيبلوس قبل شروق الشمس .

ما كاد ون أمون يصل إلى سفينته حتى أرسل الأمير فى استدعائه ثانية فقد نزلت لعنة أمون على ابنه الذى لم يكد ينتهى من قوله « ما لالهك أخرس لا ينطق » حتى فقد النطق هو نفسه وخرس لسانه عن الكلام .

وخاف الأمير أن تنزل اللعنات عليه هو ايضا ـ كما هدده ون أمون قبل خروجه من المجلس ـ فاظهر التمثال معجزة الآله بأن أعاد النطق الى ابن الأمير وعفا عما تفوه به الأمير وحاشيته .

وأمر الأمير بتسليم ون أمون الشحنة بأكملها كهدية منه لمعابد أمون وقربانا للآلهة . ولكن الأمير أخبره بأنه غير مسئول عنه وعن سفينته بعد مغادرتها شواطىء بيبلوس لانه يعلم أن احدى عشرة سفينة من سفن قرصان اهل ثاكر تتربص له خارج المينْاء لتهاجمه عند خروجه الى عرض البحر لتستولى على الشحنة بعد أن تغرق سفينته وتقتل ملاحيها .

وتستمر القصة لتصف مغامرة ون أمون عندما أشاع فى المدينة أنه سيبقى ضيفا على الأمير لمدة أسبوعين حتى يصبح القمر بدرا فيغادر المدينة بسفينته فى ضوء القمر .

ولكنه انتهز فرصة غياب القمر وظلمة الليل وهبوب العاصفة فتسلل بسفينته خلسة فى نفس الليلة . . الى عرض البحر !

وعندما أشرقت شمس الصباح التالى اكتشفت قافلة القرصان هربه فتبعوه عدة أيام فى معركة بحرية صامتة حتى اقتربوا من سفينته فظهرت معجزة رفيق الطريق مرة أخرى عندما ثار آله البحر وارتفعت أمواجه كالجبال الشاهقة وكانت تخفى السفن فلا يظهر منها الا أطراف أشرعتها وقامت عاصفة عاتية لتشترك فى الصراع وتحطم أشرعة السفن وتكسر مجاديفها وأخذت الأمواج تتقاذفها بملاحيها حتى غابت عن اعينهم سفينة ون أمون بشحنتها المقدسة ولم يتمكنوا من اللحاق بها .

أما سفينة ون أمون فقد قذفت بها الأمواج الى شاطىء أرض سابا قبرص) وهنا تبدأ مغامرة جديدة من مغامرات (مونت كريستو) .

تنزل عصابة من جبال الجزيرة لقتله ونهب حمولة سفينته - وقد اشتهرت جزيرة سابا باسم جزيرة القرصان الذين تخصصوا فى قطع الطرق البحرية المحيطة بها وخروجهم على القانون .

ودخل ون أمون ورجاله فى معركة معهم لم ينقذه منها سوى جنود أميرة المدينة الذين تصادف مرورهم بالقرب من الشاطىء .

فقام جنود الأميرة بوضع حراسة لحماية السفينة وركابها وحملوا ون أمون الى الأميرة بناء على طلبها . فلما عرفت من هو وسمعت منه قصة مغامراته مع رفيق الطريق لتوصيل شحنة زورق الآله المقدس - وقد قامت بترجمة حديثه وصيفة الأميرة وهى مصرية الأصل - فاكرمت الأميرة وفادته وقامت بحمايته ورجاله أيضا .

وأقام بالجزيرة اسبوعا قام فيه باصلاح ما حدث لسفينته من خلل اثناء جنوحها مكث خلاله فى ضيافتها فى قصرها الذى يعلو الربوة المطلة على الميناء والبحر الازرق العظيم .

ويفهم من سياق القصة التى فقدت بردياتها للأسف الكثير من اجزائها أن الأميرة وقعت فى غرامه وحاولت اغراءه للبقاء بجوارها ولكنه أسر لها بخوفه من لعنة أمون ورفيق الطريق اذا لم تصل الشحنة الى طيبة قبل عيد « ايبت » عيد زورق أمون المقدس فاقنعها بضرورة عودته بالسفينة الى طيبة . فحملته الأميرة بالهدايا والقرابين لملك مصر ومعابدها كما كانت اول من اعتنق ديانة المصريين بعد ما شاهدت معجزات التمثال .

وهنا تنقطع القصة التى يفهم من بقايا اجزائها ان الوصيفة المصرية تسللت الى السفينة واختفت بها ولم تظهر الا بعد أن أصبحت السفينة فى عرض البحر وبالقرب من شواطىء مصر .

وربماكان لمغامرة الوصيفة دور فى قصة غرام أخرى مع ون أمون أو كونت دى مونت كريستو الفرعونى حيث تمثل العنصر النسائى الذى لا غنى عنه فى قصص المغامرات العالمية .

السندباد البحرى على الطريقة الفرعونية

أن قصة الجزيرة المسحورة أو جزيرة الثعبان تعتبر نموذجا لأدب قصص المغامرات فى الدولة الحديثة وقد وصفها كثير من الكتاب باسم قصة « السندباد الفرعونى » .

تبدأ أحداث القصة بأن يسرد بطل القصة مغامراته فى احدى برديات بريس بالمتحف البريطانى ضمن حفريات الدولة الحديثة بوصف مغامرات رحلته التى يبدأها بوصف سفينته التى يبلغ طولها مائة وعشرين ذراعا ويبلغ عرضها أربعين ذراعا يقودها مائة وعشرون ملاحا من امهر ملاحى مصر - قلوبهم اقوى من قلوب الأسود وعيونهم أشد حدة من عيون الصقور وسواعدهم تصارع أعتى الامواج ولهم خبرة بالبحر واسراره .

كانوا يعرفون من أين تهب العاصفة قبل مجيئها . كانت قبة السماء يعرف منها طريق سيره ويستخيرها فتنبئه بما يخبئه القدر .

ومع ذلك غدر به أله البحر وهو فى غفلة عما تطويه صفحات المصير . فهاجمه البحر وباغته بامواجه التى بلغ ارتفاعها احد عشر ذراعا . حطم سفينته وغاص بها الى قاعه بجميع بحارته فلم ينج منهم أحد سوى بطل القصة ليروى قصة رحلته التى تعتبر من أروع امثلة أدب الرحلات الفرعونية .

يبدأ مغامراته بقوله « بعد ثلاثة أيام وأنا متعلق بلوح خشبى مما تخلف من بقايا السفينة - تتقاذفنى الامواج حتى القت بى الى شاطىء مهجور ، نمت فى ظلام الوحشة فوق رماله . لم يوقظنى من ثباتى العميق الا الجوع وأخذت أبحث عن غذاء » .

كان الشاطىء يمتلىء باشجار التين ذات الثمار الذهبية وعناقيد العنب كانها تتدلى من السماء وثمار كثيرة لم ارها من قبل واشجار عالية كثيفة منشابكة الاغصان غريبة الاشكال .

الزهور والطيور والاسماك مختلفة الاشكال والألوان . . تشير جميعا الى أننى فى عالم جديد لم يطرقه أحد من قبل فاكلت حتى شبعت وحفرت حفرة ملأتها بالأخشاب واشعلت نارا وركعت وصليت شكرا للآله وقدمت له قرابين الشكر على ضوء هذه النيران .

وفجأة اذا بصوت يدوى كالرعد اضطرب له جو المكان واهتزت له الاشجار وارتعشت أوراقها فوق ظل حجب عنى ضوء الشمس فرفعت رأسى لأرى أمامى ثعبانا عملاقا طوله ثلاثون ذراعا رأسه فى حجم ثور ضخم ولحية طولها ذراعان . وعيناه بلون الفيروز ولون جسمه فضى به نقوش ورسوم زرقاء كالوشم السحرى .



● مونت كريستو

فنطق بفحيحه المخيف وقال : من انت ايها القزم الحقير ؟ وكيف وصلت الى هنا . . ومن أتى بك إلى جزيرتى المسحورة ؟

عقد الخوف لسانى ولم أسمع سوى ضربات قلبى وقد سكن كل شىء فى الوجود حولى حتى أمواج البحر وريح الجبل ، ففتح الثعبان فمه وحملنى بين فكيه وزحف بى الى كهفه فوق قمة جبل الجزيرة ، وكانت المفاجأة أن الكهف أكبر من قاعة فرعون .

والقانى الثعبان فى ركن الكهف ولم يمسنى بسوء فتحسست جسمى الذى كان بين انيابه فوجدته سليما .

طوى الثعبان نفسه وتكور كالهرم المدرج ورفع رأسه وعيناه تشعان ببريق ساحر وأعاد سؤ اله مرة أخرى :

أيها القزم الصغير من انت ؟ وكيف وصلت إلى مملكتى ؟

وأخبرته اننى خرجت بسفينة فرعون برفقة مائة وعشرين ملاحا من اقوى وابرع ملاحى مصر للسفر الى مناجم الذهب والاحجار الكريمة فى أرض « تيم » .

وقصصت عليه قصة معركتنا مع آله البحر وكيف لقى جميع الرجال الأشداء حتفهم رغم علمهم بأسرار البحر ولغة النجوم ولكنهم لم يستجيبوا لاستخارة الآله أمون الذى حذرهم من القيام بالرحلة وبدئها فى ذلك اليوم . وقد اخفوا على تلك الاستخارة فواجه كل منا مصيره ونجانى الآله أمون لأنهم أخفوا عنى رسالة استخارته وأمره المقدس .

وبعد ان سمع الثعبان قصتى بأكملها وتأكد أنى لا أقول الا الحق وبحق الآله



● السندباد البحرى

رع الذى تشرق طلعته كل يوم على الجزيزة ليدور دورته اليومية فى الأفق الازلى فيرعى مخلوقاته ويدبر مصير كل كائن عليها . . و . . و . .

ومن بقايا الحوار الذى فقد جزء كبير منه يفهم ان الثعبان كان أحد الآلهة المقربين للأله الأعظم لنقل تعاليمه ورسالته الى البشر ولكنه عصى الآله وخرج عن طاعته عندما ظن انه بما أعطى من قوة وأسرار قد أصبح أقوى من الآله نفسه فحوله الآله الى ثعبان قوى وعملاق كرمز للشر وتركه يتحكم فى مصير الكائنات فى مملكته وفى كل من أمن به من سكانها ممن عصوا الآله العظيم .

كذلك كشف عنه الحجاب ليعرف الغيب وكان ذلك أول انتقام للآله العظيم من الثعبان حيث استشف من الغيب انه فقد نعمة الخلود التى يتمتع بها الآلهة وأن نهايته ومصيره ومصير مملكته قد رسمت صورتها فى لوحة القدر وتحدد ميعادها ولن يفلت منها .

ويقول الثعبان : لأننى أعلم العيب وأرى ما سيحدث لى وما يخبئة المستقبل لى كما سبق أن أخبرتك . فقد عرفت انك ستصل أرض مملكتى فى ذلك اليوم واعلم مصير من كانوا معك وانك لم تقل غير الصدق .

ثم أضاف الثعبان قائلا : أرى فى الغيب انك ستمكث بيننا أربعة أشهر تعود بعدها الى أهلك وأحبابك . . وهأنا أراك تضمهم الى صدرك وكتب لك أن يكون قبرك فى أرض بلدك الذى جئت منه وستعود اليه . فان كنت قد سألتك من أنت وكيف جئت فما كان ذلك الا لكى أعرف منك هل ستكون صادقا معى أم لا .

سأقص عليك اسرار مملكتى التى يحيط بها المحيط الأزرق العظيم من كل جانب وهو مسئول عن حمايتها حتى لا يطرق ابوابها احد . ستعيش بين اخوتى وابنائى وعددهم خمسة وسبعون ثعبانا واتباعهم وخدامهم وفتاة واحدة جميلة .

ستجد في جزيرتى كل ما يشتهيه قلبك وعيناك وبطنك .

ولا أطلب منك الا الطاعة والشجاعة والصبر . ستأتى سفينة تـائهة بعـد أربعة أشهر لتحملك الى أرض مصر التى تبعد عن مملكتى بمسافة زمنية قدرها شهران . و . . . و . .

وتنتقل البردية الى نهاية الرحلة حيث يقول الثعبان وهو يتـطلع الى الآفق البعيد أنه يرى المركب أتية فى اتجاه الجزيرة وعلى بعد ثلاثة أيام منها .

ويصف بطل القصة كيف كان يصعد كل يوم الى قمة الشجرة العالية ينظر الى البحر فى انتظار المركب حتى اليوم الثالث فاذا بأشرعة مركب من مراكب مصر تظهر فى الآفق فيهبط من أعلى الشجرة وهو يهلل ويرقص فرحا ويركع أمام الثعبان العظيم عالم الغيب .

وبالفعل وصلت السفينة والقت مراسيها فما أن شاهد بحارة السفينة الثعبان حتى ارتجفوا من الرعب . فأمرنى الثعبان أن اطمئنهم وانهم سيبقون فى ضيافته وحمايته حتى تبحر السفينة مع شروق الشمس لتعود سالمة الى أرض الوطن .

وعندما طلع الفجر وحان وقت الرحيل ظهر الثعبان وركعت أمامه كـرمز للتعبير عن الشكر وقلت له أنى سأخبر فرعـون الذى سيفـرح قلبه لـرؤ ياى ولعودتى سالما لأننى قريب من قلب فرعون وعرشه . وسأخبره انك أعظم من فرعون لانك آله تتحكم فى مصير الكائنات وتعلم الغيب . سأعود محملا بهدايا فرعون مصر سأجلب لك العطور المقدسة والبخور والجلود والنسيج والبردى والذهب والاحجار الكريمة وكل ما لايوجد بجزيرتكم من خيرات أرض مصر المقدسة .

وهنا فتح الثعبان الكبير فمه وضحك ضحكة لها صليل الأجراس وقال :

ـ أنا لست فى حاجة الى هداياك ـ أن كل شىء أقول له كن فيكون ـ أن كلمة منى تحول الأخشاب الى عطور مقدسة والصخور الى احجار كريمة والرمال الى تبر الذهب ومحار البحر يحمل لى لألئه وأسماكه تكسو الشاطىء بالعنبر .

وأمر بتحميل سفينتك بمختلف الهدايا والنفائس والمحاصيل والنباتات التى لا يوجد لها مثيل بأرض مصر . . قال : احملها منى هدية لفرعون ولا تنس أن تقدم لى القرابين فى معبد الهكم العظيم .

وتنتهى القصة بقول الثعبان وهو يودعهم : « لا تفكر فى العودة ثانية لأنك اذا عدت فسوف لا تجدنى ولن يكون لجزيرتى أى وجود على الأطلاق وهذا هو الغيب الذى ملكت قوة الاطلاع عليه والمصير المحتوم المنقوش فى لوح القدر وكشف لى من هو أعظم منى » .

لقد سقط من بردية جزيرة الثعبان للأسف الجزء الخاص بحياة السندباد فى الجزيرة وقصة الفتاة الجميلة التى قدمها اليه الثعبان فى أول القصة وهى التى تلعب دورا هاما فى قصة السندباد البحرى العالمية وبعض قصص المغامرات المماثلة كقصة الجزيرة المسحورة فى روايات ألف ليلة وليلة ورحلات ماركوبولو وغيرها من أدب القصة العالمى .

كان أول من كشف علاقة جزيرة الثعبان بقصة السندباد البحرى الاستاذ الكبير الدكتور سليم حسن عالم الآثار المصرى الأول الذى كان أول من ترجم قصة جزيرة الثعبان من الأصل الفرعونى الى اللغة الإنجليزية والعربية وصحح كثيرا من التراجم القديمة التى لم تكن دقيقة الترجمة والتفصيل .

لقد أثارت قصة جزيرة الثعبان فى السنوات الأخيرة جدلا فى كثير من

الاوساط العلمية المعينة بتاريخ « قارة الاطلنتس » بعد ما كشف الاستاذ بعض صفحاتها المفقودة التى وجدت ضمن برديات متحف لننجراد واوضح العلاقة بينها وبين أسطورة القارة المفقودة من حيث التشابه فى كثير من وقائعها وما ورد بها من أوصاف مع ما ورد فى برديات كهنة هيليوبـوليس ومتون أهـرام المايـا والاوزتيك فى امريكا وكتاب افلاطون « التيمابوس » ووثائق قدماء الفينيقيين حيث وصفت جميعها قارة الاطلنتس بـأنه كـان يطلق عليهـا اسم « جزيـرة الثعبان » .

كما أن الفتاة الجميلة التى كان يحتفظ بها فى جزيرته وعادت الى مصـر فى المركب ربما رمز بها الى ايزيس التى ذكرت برديات هيليوبوليس انها أتت الى أرض مصر مع ابنها حورس بعدما قتل « ست » آله الشر اخاه أوزوريس آله الخير ونادى بأنه أصبح الآله الأوحد الذى يتحكم فى مصير الكائنات فانزل الله لعنته على الجزيرة فاختفت فى قاع المحيط .

وتنتهى أسـطورة الاطلنتس بقول الكـاهن « مو » لحـورس وأتباعـه وهـم يغادرون الجزيرة للتوجه الى مصر « اذا عدتم فلن تجدوا الجزيرة » وهى نفس اقوال الثعبان لملاحى سفينة السندباد عند مغادرتهم الجزيرة فى رحلة العودة الى مصر .

ومرة أخرى نثبت بما لا يدع مجالا للشك أن المئات من أداب العالم وفنونه ذات أصل فرعونى . وبالتحديد كتبها وأبدعها ذلك الرجل المصرى الجالس القرفصاء ومنذ سبعة الآف سنة .

●

ليلى الفرعونية تعترف لأبيها
سنوحى ابن عمى عندنا !

مجنون ليلى قيس بن الملوح الشاعر المجنون الذى راح يقول الشعر فى محبوبته ليلى فرددت البيد أشعاره وخلد الأدب العالمى الحديث قصته نرى أن مصر الفرعونية القديمة قد عاصرت ورددت قصة تاريخية مماثلة بشخصياتها الواقعية التى سبقت قصة مجنون ليلى بألفى سنة ، هى قصة سنوحى وتيكاهيت التى تفوقت على قصص الحب العالمية المماثلة بأسلوبها وتركيبها وأحداثها وما اجتمع لها من عناصر التكوين التى جمعت بين أدب قصص الحب والبطولة والمغامرات .

كانت قصة سنوحى وتيكاهيت من أحب القص الى قلوب المصريين وقد وصل آلينا الكثير من أجزائها ومن مختلف العصور الفرعونية ابتداء من الأسرة الثانية عشرة حيث دونت لأول مرة فى عهد الملك سنوسرت الأول حتى أواخر الأسرة العشرين .



وقد وجدت منسوخة فى برديات مختلف العصور وعلى ألواح الاستراكا كما كانت تدرس فى المدارس وتروى فى القصص الشعبى كما كانت تغنى كثير من مقاطعها الشعرية فى حفلات السمر .

كان سنوحى شخصية حقيقية فقد كان الوزير الأول فى عهـد امنمحعت الأول أول ملوك الأسرة الثانية عشرة .

وينكر المؤ رخون أن الملك مات بسبب مؤ امرة دبرت ضده قامت على أعقابها دسيسة قام بها بعض رجال القصر للمناداة بأحد أبنائه من أم غير الملكة الشرعية لتولى العرش .

وكان سنوسرت ولى العهد الشرعى الذى يشارك أباه فى الحكم مشغولا فى ميدان القتال الغربى فى محاربة اللوبيين ، ويقال أن كبير أمناء القصر وكان على ولاء لسنوسرت ويحقد فى نفس الوقت على سنوحى الذى كان يحب الأميـرة تيكاهيت ويكتب لها قصائد الحب التى كانت تتغنى بها منف وترددها مجتمعاتها ويغنيها المغنون فى حفلات السمر .

ولأن الوزير كان يعلم بالمؤ امرة أرسل للملك يطلب اليه العودة وكما وصفه سنوحى فى قصته « وعاد الصقر طائرا كالبرق وأمكنه القضاء على المؤ امرة قبل أن تنفذ » ، كما اتهم الوزير سنوحى بأنه كان له ضلع فى المؤ امرة حتى يتخلص منه وهو ما يفسر سبب فراره عند وصول سنوسرت الأول وتوليه الحكم .

وفى قصته التى يرويها عن نفسه نراه يبتدىء بذكر ألقابه ووظيفته فيقول أنه الأمير الوراثى ومدير ضياع الملك والسمير الوحيد المجبب اليـه وكان خـادما وأنيسا للملك والابنة الملكيـة لامنمحعت المسماة نفـرو فى بلدة الهرم (خنم اسوتت) .

وفى السنة الثلاثين فى اليوم التاسع من الشهر الثالث للفيضان دخل الملك أفق الآله فطار الى السماء ليتحد مع قرص الشمس ويمتزج بجسم خالقه فخيم الصمت على القصر وأغلق بـاباه العـظيمان وجلس رجـال القصر منكسى الرءوس على الركب ، كان قلبى يتحرق وخارت قواى واستولت الرعدة على جميع أعضائى فقفزت باحثا عن مكان أختبىء فيه بعيدا عن القصر لأن هناك شجارا وصراعا يدوران أرجائه .

ويصف فى قصته كيف كان يتسلق أشجار الايك حتى لا يراه حراس النهار ويتسلل كالثعلب الهارب من الصياديين عيدان القمح حتى لا يلمحه حراس الليل ، ويروى كيف اجتاز الحدود التى حصن « جدار الأمير » الـذى شيده ليصد غارات البدو ، ويصف أحداث رحلة الهروب بقوله « وفى ليل غاب قمره وارتفع عواء ذئابه وخرجت الزواحف والحشرات من جحورهـا زحفت على صدرى بين الرمال وفوق الصخور .

وعندما تنفس الصبح كنت قد وصلت الى أرض بتنى وفى جزيرة « كم أور » استلقيت على الشاطىء للاستجمام ، لقد خنقنى العطش والتهب حلقى حتى ذقت طعم الموت شربت الماء المر لأطفىء عطشى فزدته لهيبا ، وفى ظلام الليل التالى سمعت خوار قطيع من الماشية ورأيت خلف كثبان الشاطىء قبيلة من قبائل البدو تشعل نيرانها فذهبت اليهم فعرفنى شيخ من بينهم كان قد زار مصر وأكرمت وفادته فأعطانى ماء وطبخ لى لبنا ولحما جافا مما يحمله قبائل البدو فى رحيلهم وقـدمنى الى أبناء قبيلتـه الذين أحسنـوا معاملتى واعتبـرونى واحـدا منهم » .

ثم تخلف سنوحى عنهم ليسير فى طريق آخر غير طريق قـوافى البدو حتى لا يقع فى أيادى جنود فرعون الذين خرجوا للبحث عنه ويحكى سنوحى كيف

قضى أياما طويلة كالغزال الشارد فى قلب الصحراء الواسعة وكيف اشتغل فى قطع الأحجار فى مناجم الفيروز حتى وصل الى أرض « رتنو العليا » حيث قابل أميرها شيخ قبيلة « عمو نتشى » بأرض فلسطين .

ولما عرف أنه قادم من مصر أخذ يمدح له فى ملكها العظيم سنوسرت بقوله « حقا ان مصر سعيدة بملكها العظيم سنوسرت الذى نشر العدالة والسلم والرخاء فى أنحاء بلاده الفسيحة ومن بينها فلسطين التى يدين أهلها له بالحب والولاء » .

ولما كان قد سمع عن سنوحى كأحد رجال قصر الملك الأمناء ومن بين قواده الأشداء فقد أكرم وفادته واستبقاه عنده وفى ذلك يقول سنوحى : وجعلنى الأمير على رأس أبنائه وقال لى أمل أن تكون هنا سعيدا بيننا ، ستسكن معنا ونعاملك بحب وشفقة .

وزوجنى احدى بناته وجعلنى أختار لنفسى أحسن ما فى حيازته من الأراضى التى تمتد من حدود بلاده الى أرض ما بين النهرين فاخترت أجملها وتسمى أرض « ياء » كان فيها التين والكروم ونبيذها أكثر من مائها شهدها غزير وزيتونها كثير وحقول الشعير والقمح بسنابله الذهبية وأشجارها محملة بكل أنواع الفاكهة وماشية يخطئها من كل نوع .

كان نصيبى عظيما وأعظم منه ما نلته من حب الناس ، وقد نصبنى أمير رتنو حاكما على أحسن قبيلة من قبائل بلاده فوضعوا لى الخبز لأكلى اليومى والخمر لشرابى واللحم المطبوخ والدجاج المشوى خلاف ما فى الصيد من خيرات وضعوا الألبان بكل الأشكال والحلوى وقضيت عدة سنين وأنا سيد قومى والجميع يدينون لى بالحب والوفاء .

ورغم اسرافه فى وصفه لذلك النعيم ورغد العيش الذى كان يعيش فانه لم يخف حنانه ولوعته لمصر واله وأحبابه وحبه ووفائه لحبيبته تيكاهيت التى كان يرددها فى أشعاره وقصائده تلك القصائد التى كان يغنيها ويعزفها على قيثارته ونايه . كان شباب القبائل الرحل بالصحراء يحفظونها ويرددونها وتغنوا بها فى مجالس سمرهم وأفراحهم وقد صفتها احدى البرديات « كانت أرجاء الصحراء الشاسعة تردد أغانيه وأشعاره وأنغامه الشجية حتى وصل صداها الى شواطىء النيل وانتشرت فى انحاء الوادى بأكمله فكان المصريون يتغنون بها فى مجالس سمرهم وافراحهم الشعبية يتغنى بها المغنون ويرددها العشاق لسنوات طويلة زادت عن خمسة قرون .

ومن أجمل الصور الشعرية (قصيدة حبيبتى مقبلة)

ها ! اراها آتية . . ارى حبيبتى مقبلة
تتهادى كنسمة الربيع
مرفوعة الرأس يداعب الريح ضفائرها
وتـزين الثمار الحمراء خدودها وجيدها
تكاد قدماها لا تلمسان الأرض
وهى تخطو كراقصات المعبد
وتتماوج ذراعاها ويداها فى دلال
كأمواج البحر فى ضوء القمر
وأسمع صوتها يحمله الى النسيم من بعيد
كرنين قيثارة الحب فى سكون الليل
ها أنا أرى حبيبتى مقبلة !!

فيبتهج قلبى وامد ذراعى لأضمها الى صدرى
ويهتز قلبى فرحا وهو ينتقل من صدرى الى صدرها
أحس باننى ضممت البستان بأكمله
بزهوره وطيوره وفاكهته وغديره

- عندما اضمها الى صدرى

احس باننى ضممتت ارض بونت باكملها

بعطورها وبخورها وزهورها وزيوتها السحرية

- وعندما أضمها الى صدرى

أشعر أنى سكرت وانا لم اشرب الخمر

اشعر انى أعيش فى عالم الاحلام وانا لم انم

ان حبها يملأ قلبى قوة — ويحيطنى بتمائم الحفظ
وهى تغنى لى تعاويذ الماء — لتحفظ حبنا من غير الايام

وفى بردية اخرى من برديات شستر بيتى قصيدة اخزى تنسب الى سنوحى وجدت فى مقبرة أحد المغنين فى طيبة .

اذكرى حبنا وانت تجلسين تحت شجرة الجميز
لقد تعاهدنا فى ظلها عند أول لقاء
ان يدوم حبنا الى الابد
مهما حاولت عواصف الحسد أن تعبث بغصونها أو تقتلعها
لقد زرعناها معا ونحن اطفال
ان حبنا ينمو مع نموها ويكبر معها

ويزداد قوة بازدياد قوتنا
استمعى الى حفيف أوراقها فهى تهمس لك بالحان قلبى
انظرى الى غصونها فهى تمدها لتصد عن حبنا عيون الشر
انظرى الى ثمارها فهى تحمل لون خديك وحلاوة شفتيك
اذكرينى وانت ترقدين فى احضان ظلها الكبير
الذى ظلل حبنا وكبر معه
ساعود عندما تتفتح زهور الحديقة وتغرد طيورها
ساعود من الأرض البعيدة مع الطيور المهاجرة
التى تلقى بنفسها فى احضان البحيرة لتنسى تعب الرحلة
ساعود وسيكون صدرك هو بحيرتى التى انسى فيها تعب الرحلة

ومن قصائده الغنائية التى تعتبر نموذجا للادب المكشوف عند الفراعنة قصيدته المشهورة وعنوانها القديم « ليغنى القلب وتشدو الروح »

حبيبتى . اذا قبلتها وفمها مفتوح . . احسست بطعم الرحيق المقدس وحلاوة عسل النحل

اذا نظرت فى عينها الواسعتين المفتوحتين رأيت فى سوادهما نور قلبها المضىء وكشف عما يخفيه من سر لا يأتمن احدا غيرى ليبوح به اليه .

ليتنى . . كنت جاريتها التى تغسل لها قدميها
فلا يلمسها غيرى ولا تريحها الا على يدى
ليتنى . . كنت جاريتها التى تدلك جسمها
حتى لا يرى جسمها العارى أو يلمسه احد غيرى

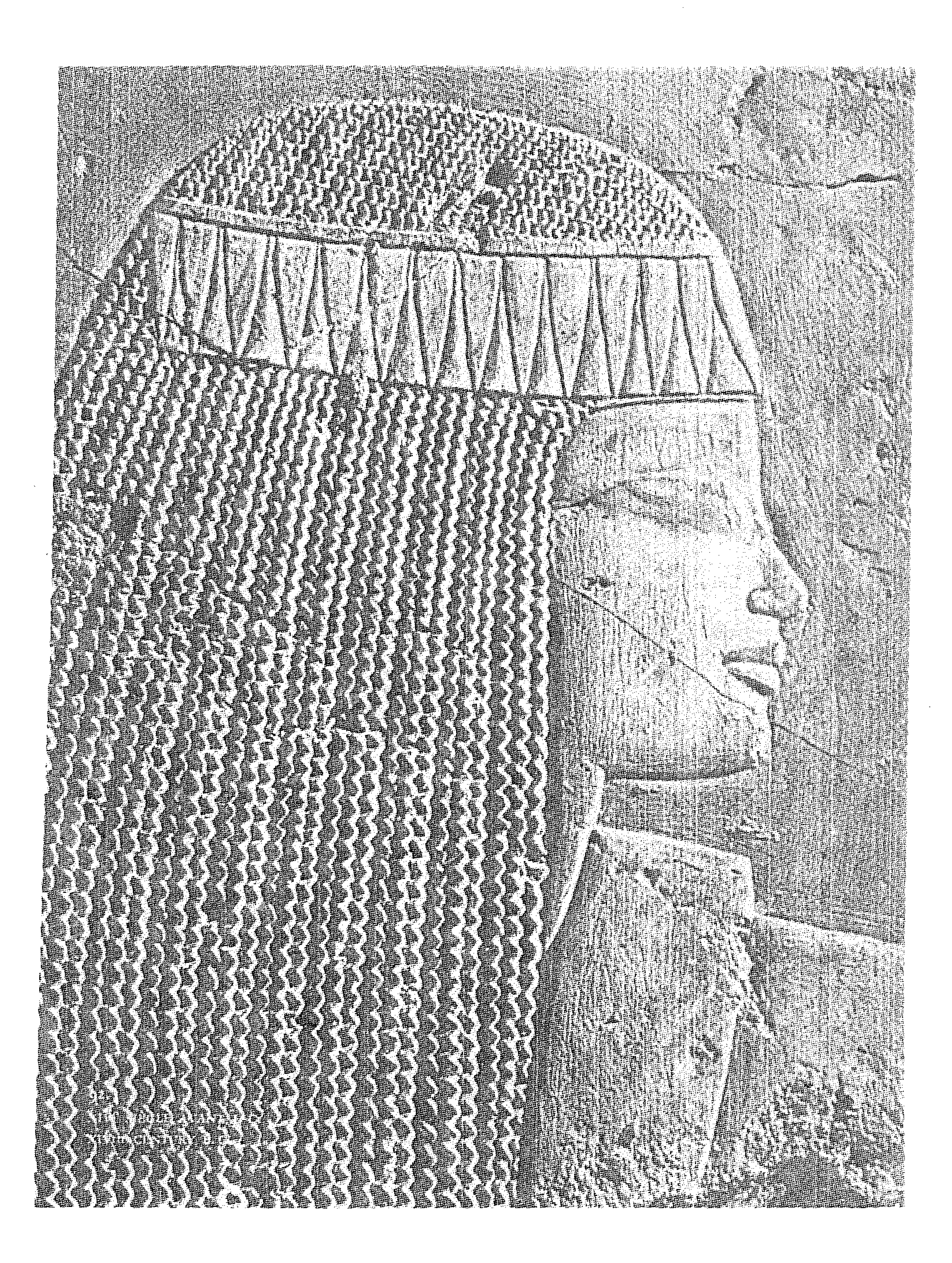
ليتنى . . كنت جاريتها التى تغسل ملابسها
فأسعد برائحة طيب جسمها العالق بها
ليتنى . . كنت جاريتها التى تقوم بزينة وجهها
حتى اتحسس باناملى كل جزء فيه واقبله

ليتنى . . اكون العقد الذى يطوق عنقها
فلا يطوقه ويداعبه الا ذراعاى .
ليتنى . . اكون الخواتم التى تزين اصابعها
فاحتفظ باصابعها بين اصابعى طول الوقت
ليتنى . . اكون الاساور التى تزين معصميها
حتى احتفظ بهما بين يدى طول الوقت
ليتنى . . اكون القلادة والتمائم التى تزين صدرها
لارقد على صدرها واستمع الى دقات قلبها طول الوقت

ليتنى . . اكون الخلخال الذى يزين قدميها
حتى لا يلمسها أو يقبض عليها احد سواى
ليتنى . . اكون القرط الذى يزين اذنيها
لاهمس فى اذنها ما يسعد لسماعه قلبها
ليتنى اكون البستانى الذى يقطف الزهور التى تزين حجرتها
لاحمل كل زهرة منها رسالة حب وقبلة تنقلها الى فمها كلما لامستها
ليتنى اكون زهرة اللوتس التى تزين ضفائر شعرها
حتى لا تلمسه أو تعبث به الا اناملى
ليتنى اكون عقد الورود والياسمين الذى يزين
صدرها ويداعب خدها ويلمس شفتيها .

ويحمى نهديها . . ويبتسم للقائها كلما . .
نظرت اليها وتتجدد كل يوم لتأكد تجديد حبه الذى تتفتح مع كل صباح .

ان تلك القصائد والأغانى والملاحم التى رددتها البلاد بأكملها حتى دخلت إلى مجالس القصر كانت الأسباب الرئيسية للقرار الذى أصدره الملك سنوسرت بالعفو عن سنوحى والسماح له بالعودة إلى مصر وما ناله من تقدير وتكريم من العائلة الملكية بأكملها.



حكاية الشاطر حسن وست الحسن

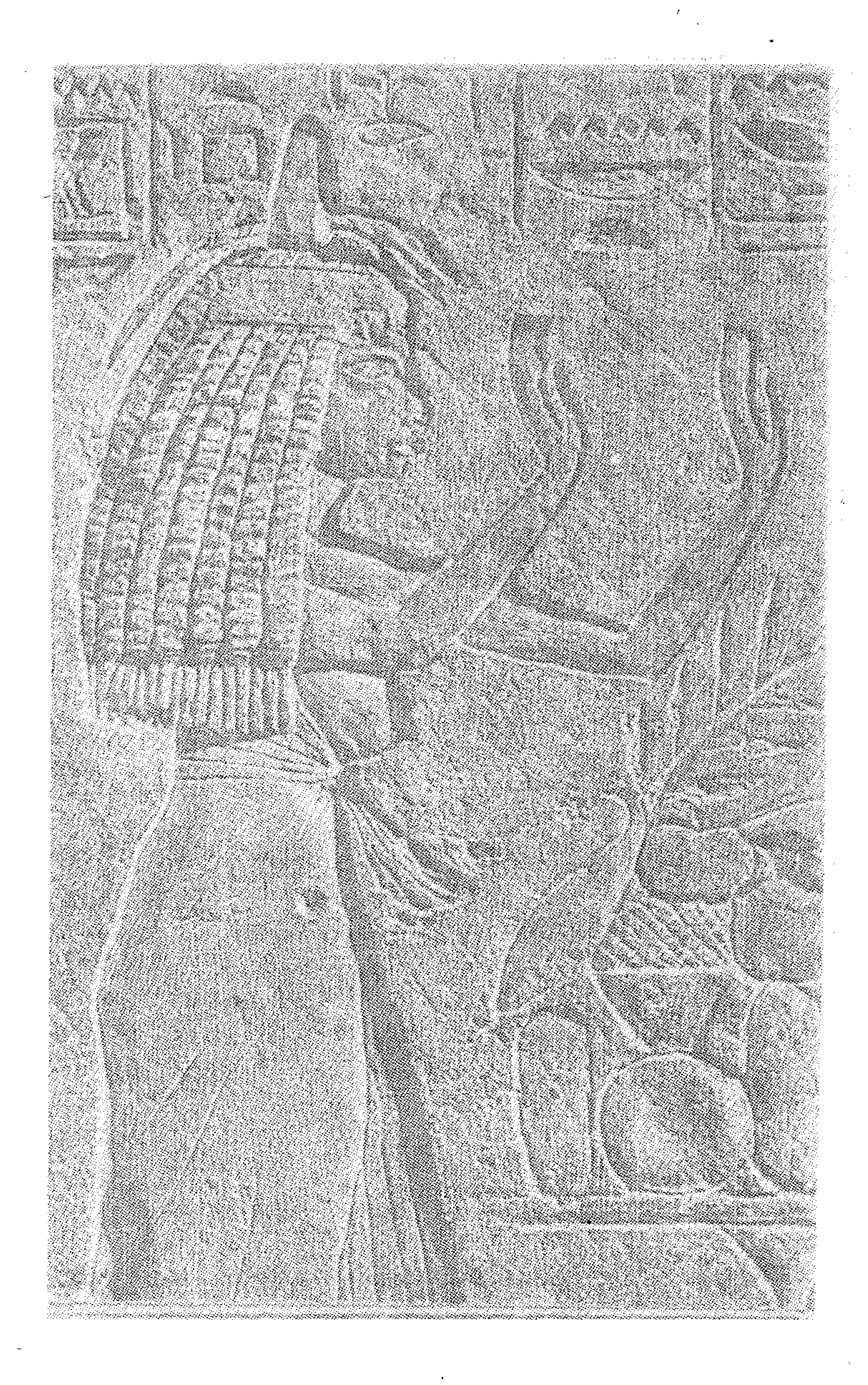
تمضى السنوات . . ونكبر وتظل سنوات الطفولة ببراءتها وصدقها وأحلامها أروع ما نحمله معنا !

وتظل حكاية الشاطر حسن حلم كل « ولد » . . وتظل حكاية ست الحسن حلم كل « بنت » . . ونعيش بخيالنا مع حصان الشاطر حسن الذى يمتطيه حسن وأمامه ست الحسن . .

ولا أحد يدرى أن هذه الحواديت أيضا سبق وابدعها وببراعة كاتب مصرى منذ ٧ آلاف سنة . .

من قصص الدولة الحديثة المحببة الى قلوب المصريين والتى تتشابه الى حد بعيد مع قصص ألف ليلة وليلة ومغامرات الشاطر حسن المعروفة قصة « الأميرة الجميلة » .

وكانت أكثر القصص تداولا وأنتشارا لعدة أجيال . وتبدأ القصة بتـاجر



وزوجته تقدمت بهما السن - رزقهما الآله كل شىء الا ابنا يرثهما ويصلى على « قبرهما » وهو ما يعتبرانه أرفع نعم الرضا .

وتستجيب المعبودة ايزيس لدعواتهما فيرزقان بطفل جميل يطلقان عليه اسم « هبة السماء » بعد أن كانا قد فقدا الأمل فى الانجاب تماما .

ويحملان الطفل الى المعبد ليباركه الكاهن الأكبر ويقدما الشكر للآله . عند خروجهما تقابلهما عرافه على باب المعبد فتقرأ طالع الطفل وتتنبأ بمصيره بقولها !! « أن نهايتة سيلقاها بكلب أو ثعبان أو تمساح » .

وحتى يهرب من هذا المصير ارسله أبواه ليعيش فى بيت ناء فى يوم من الأيام بينما كان « هبة السماء » يطل من غرفة البيت المطلة على الصحراء شاهد صيادا يسير يتبعه كلبه الأمين والصديق الوفى للصياد . فلما سأله عن ذلك المخلوق .

قال الصياد أنه الصديق الوفى والرفيق المخلص الذى يحميه ، وألح على والديه أن يحققا أمنية تسعد قلبه باقتناء كلب يكون صديقا يؤنسه ويحميه . . فأحضرا له جروا صغيرا قام بتربيته .

مرت الأيام ويكبر الابن ويصبح شابا قويا وجميلاوكبر معه كلبه الذى أصبح صديقه المخلص الذى لا يفارق ظله ويسهر على حمايته بخلاف ما تنبأت به العرافة . وطلب من أبويه أن يخرج من سجنه ويقوم برحلة يواجه بها الحياة ويمتع قلبه بمباهجها وعطاءاتها وهو يقول :

« سأفعل ما يرضى قلبى . . ويفعل الآله ما يرضى قلبه وخير لى أن أعيش وأموت مرة واحدة . . وهو القدر والمصير !! من أن أموت عدة مرات فى انتظاره بغير أن أعيش لأمتع قلبى . . وأحيا حياتى » .

وهكذا يخرج بطل القصة « هبة السماء » فى رحلة بعيدة الى « نهارينا » ليس له رفيق سوى كلبه الأمين وأحلامه الواسعة . ويحكم نهارينا أمير قاسى القلب له ابنة وحيدة ـ آية فى الحسن والجمال وكما هو الحال فى قصص ألف ليلة وليلة وحكايات « الشاطر حسن وست الحسن » فالأمير يحجب ابنته فى قلعة أو برج حصين ـ تصفه القصة بأن له سبعين نافذة يرتفع كل منها عن الأرض سبعين ذراعا ، ويحيط بالبرج بركة عميقة ملأى بالحيات والتماسيح .

ويشترط أمير نهارينا على من يريد أن يتقدم لطلب يد أبنته أن يكون من العائلة المالكة ، وأن يتسلق حوائط البرج ليصل إلى نافذة « ست الحسن » بعد أن يصارع التماسيح والحيات قبل أن يصل إلى أسفل حائط البرج نفسه . .

وتتتابع تفاصيل القصة ومغامراتها المثيرة بأن يتعرف بطل القصة على وصيفة لأميرة وكاتمة أسرارها ويرشيها ويغريها بأنه سيأخذهاالى حبيبها الفارسى الذى حرمت من لقائه بعدما أودعه الأمير فى سجن بعيد فى الصحراء .

وتدله الوصيفة على سرداب سرى يصل الى القلعة فى مأمن من بركة التماسيح والحيات . يخبر الوصيفة أثناء الحديث أنه من أبناء ملك مصر وأنه هرب من مصر ومن القصر خوفا من زوجة أبيه التى كانت تدبر مؤامرة لقتله والتخلص منه ليرث أبنها العرش .

ينجح بطل القصة فى الوصول الى نافذة الأميرة (وقد سقط من البردية الطريقة التى توصل بها لتسلق حائط البرج والوصول الى نافذة الأميرة على أرتفاع ، . ذراعا) .

وما تكاد الأميرة الجميلة « ست الحسن » تشاهد فارس أحلامها حتى تقع فى

حبه . . كما يقع هو فى حبها من أول نظرة ـ عندما سحره جمالها الاسطورى . ولكن الأمير عندما يعلم بقصة غرامها يرفض أن يزوجها منه عندما بلغه عن حقيقته وقصته المختلفة بأنه من أبناء فرعون مصر فيأمر بالقبض عليه والقائه فى بركة التماسيح

هنا تهدد الأميرة الجميلة بأنهم لو مسوا حبيبها بسوء فستلقى بنفسها من نافذة البرج لتلحق به . فيتراجع الأب تحت ضغط أم الأميرة أيضا ويوافقا على طلبها وتتزوج البطل التى تطلق عليه القصة الفرعونية أسم « الأمير الشاب الجميل) .

ويقص الأمير الشاب على حبيبته نبوءة المصير ونهايته المكتوبة على يد كلب أو أفعى أو تمساح . وهنا ترتعب الأميرة وتطلب منه أن يقتل كلبه . ولكنه يرفض أن يضحى بصديقة الوحيد الذى رافقه فى رحلته الشاقة القاسية حتى وصل اليها سالما وتحققت أحلامهما معا « هو وهى » .

قص عليها كيف كان كلبه الأمين لا ينام الليل ليحرسه فى نومه فيمنع عنه غدر البدو ولصوص الصحراء . كان يمنع أى كائن يحاول الاقتراب منه سواء من الحيوانات أو الزواحف أو الحشرات . . . كان يصيد له الطيور والارانب التى يتغذى عليها ويدله على أبار الماء ليروى ظماه ـ قال أن الكلب أصبح الأن خادمها الأمين « يحبها لأنها أحبت سيده » وهذا وفاء لن تجده فى قلوب البشر .

وهنا يرق قلبها عندما تجد الكلب يرقد تحت قدميها ولا يدرى ما يدور حول مصيره . فتعتذر له عما بدر منها وتقول له :

أن حبها له وخوفها عليه من أن يكون الكلب وهو أخلص صديق أمـين سيكون الأداه فى يد المصير . كما كان أبوها وهو أحب الناس اليها سيكـون السبب فى نهايته ونهايتها . . وأداة فى يد المصير .

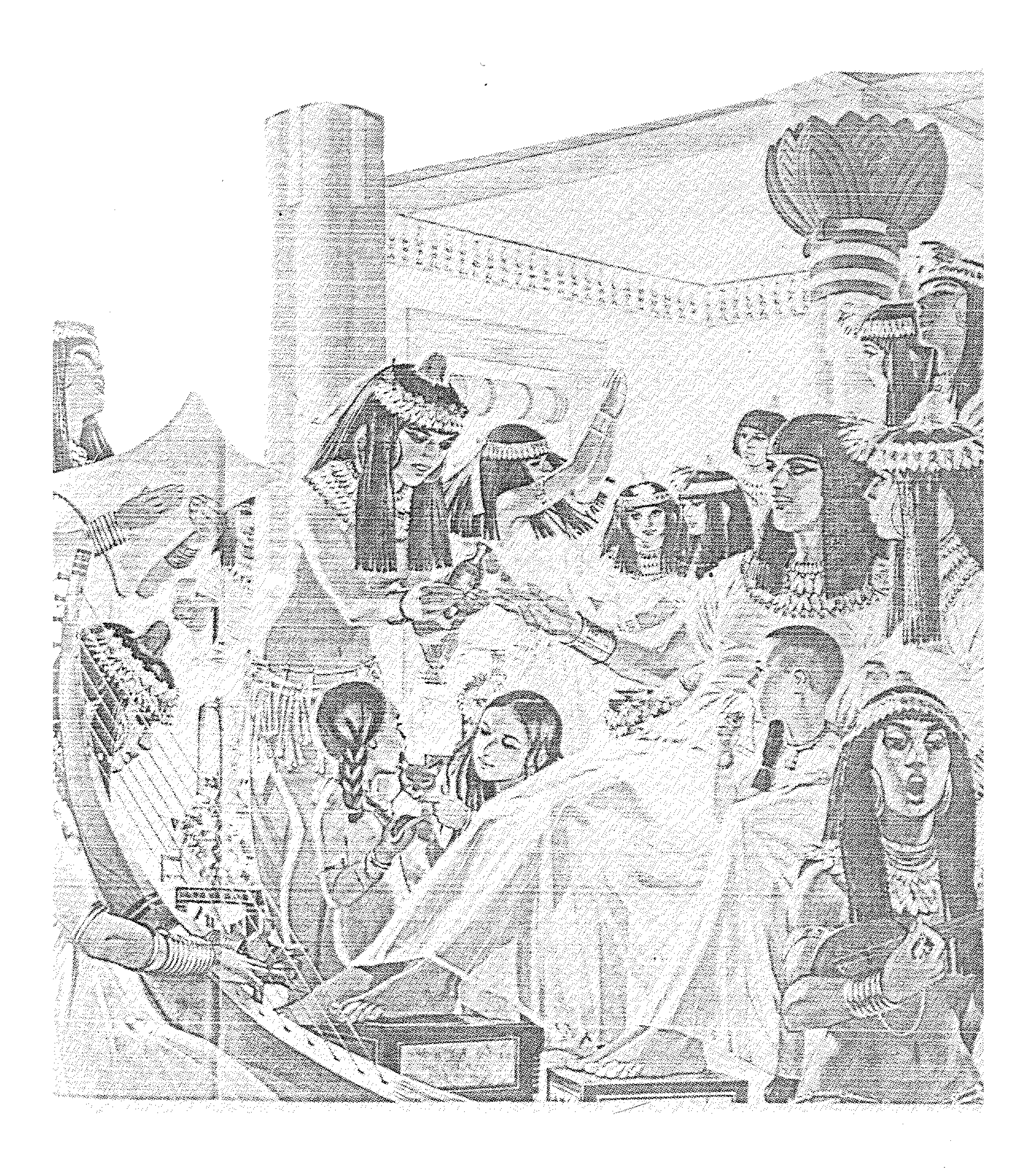
وتنتقل القصة فجأة الى ساحر عملاق يعيش فى كهف بالقرب من طريق القصر يشاهدان عنده تمساحا كبيرا مقيدا بالحبال ويقول لهما لا تخافا لقد قيدته بحبال سحرية حتى لا يؤذيكما أو يعترض طريقكما .

وتنتقل القصة مرة أخرى لفقـد بعض اجزائهـا ـ الى الأمير الشـاب وتأتى ، الأميرة وتقبل جبهته وهى تخشى أن توقظه ، وتعود وهى تحمل اناء مملوءا باللبن وتضعه بجواره فيجذب اللبن ثعبانا ضخما يخرج من بين الأعشـاب فيشرب اللبن الموجود بالاناء حتى يمتلىء وينتفخ ولا يقوى على الحركة فينقلب على ظهرة فتظهر الأميرة من خلف الشجرة ـ وكانت تسهر على حراسة حبيبها ـ وتستل خنجرا من حزامها وتشق به بطن الثعبان ـ ويستيقظ الأمير وهو يقول لها ـ « أنت هدية آله الخير لى . . فترد عليه « وقد أرسلنى فى الوقت المناسب لارد مخالب آله الشر الثلاثة عنك » .

وتنتقل القصة مرة أخرى بعد فقد جزء كبير من بردياتهـا . . حيث يخرج الأمير الشاب فى رحلة للصيد ومعه كلبه الأمين ليخوض أحدى برك الصيد كما تعود أن يتبع كلبه الأمين الذى يدله على المسالك الأمنة وأماكن الطيور فإذا به يفاجأ بتمساح ضخم يخرج وسط عيدان البردى ليقبض عليه بين فكيه ويأخذه الى كهف الساحر العملاق ويقول له « أنا مصيرك الذى كان يتبعك » وقد رأيتنى مقيـدا لأن أجلك لم يكن قد حـان . . ويهرب الكلب ويجـرى مسـرعـا الى الأميرة . . فتبكى عندما تراه يعود وحيدا .

وهكذا تنتهى القصة التى فقدت بقيتها أو خاتمتها التى قد تكون مـوجوده ضمن مخلفات البرديات ومقتنيات المتاحف العالمية الى أن يحين الـوقت لترى النور وتلقى ضوءا جديدا على استكمال قصة من أدب المغامـرات فى الأدب المصرى القديم . .

●



سندريلا .. الحلم المستحيل

تعتبر قصة رادوبى الجميلة أو سندريللا المصرية نموذجا لأدب القصة فى الدولة الحديثة وهى ضمن برديات شستربيتى بالمتحف البريطانى وترجمت أكثر من مرة لعدة لغات كما وجدت لها أكثر من نسخة يرجع بعضها الى العصر المتأخر اختلفت فى بعض تفاصيلها ولكنها اشتركت فى المضمون العام .

تدور وقائع القصة فى مدينة منف حيث كان يعيش تاجر ثرى « سنوفر » فى قصره الفخم المطل على شاطىء النيل مع زوجته « تننت » وابنته الطفلة « رادوبى » ذات الجمال الملائكى الذى ورثته عن أمها وكانت أجنحة السعادة ترفرف على العائلة الصغيرة ، كان التاجر لا يبخل بشىء لاسعاد زوجته المحبوبة وابنته ذات « الوجه الملائكى » .

تبدأ أحداث القصة عندما تصاب الأم بمرض خطير وتحس بدنو أجلها فتنادى ابنتها وتجلسها بجوارها على الفراش وهى تقول ابنتى الصغيرة لقد دعتنى

الآلهة لاعد نفسى للرحيل الى العالم الآخر حيث سأكون فى انتظاركم لنلتقى بعد حين ولن تمهلنى الأيام حتى أرى ملاكى الصغير أجمل عرائس منف وأنت تزفين الى قصر فارس أحلامك ولن تتخلى عنك الآلهة حتى تتحقق أمنيتى ولما كان أباك لا يزال فى عنفوان قوته وشبابه فقد انبأنى أحساسى الذى لا يخيب .

أن أباك سوف يتزوج من امرأة أخرى تحل محلى فى البيت . . ليكون له وريث . . سوف يكون لك أخوات من امرأة أبيك وسيكون جمالك مصدر غيرتهن وحسدهن وحقدهن عليك . . سوف تتعرضين للحقد والاضطهاد وليس عليك الا الصبر والإيمان بالآله وهو وحده الذى سيحميك .

وتنهدت الأم وتناولت من تحت وسادتها صندوقا من خشب الصندل المطعم بالذهب والاحجار الكريمة وقالت لابنتها احتفظى بهذا الصندوق فى مكان امين فهو صندوق مجوهرات أمك التى ورثتها عن عائلتها واجدادها ومن بينها قلادة حتحور الجميلة التى لا تقدر بثمن لتحفظ لها جمالها وتحميها من العين والغدر وطلبت منها أن تحتفظ بها ولا تعير أى شىء منها لاحد ولا تضع التميمة على صدرها الا يوم تزف الى عريسها فى معبد حتحور الهة الجمال .

ثم قدمت لها صندوقا ثانيا أخرجته من تحت وسادتها وهو مصنوع من الخشب الابنوس المطعم بالفضة ثم قالت لها وهذا الصندوق يا ابنتى به حذاء نفيس لا يوجد له مثيل فى البلاد وهو مصنوع من جلد الغزال الذهبى اللون ومطرز بخيوط الذهب والاحجار الكريمة ـ ليست قيمته فى جماله فحسب بل أن له ميزة أخرى وهى انه لن يتسع لقدم فتاه سواك كما انه سيكون مصدر حظ عظيم لك فى مستقبلك حافظى عليه وضعيه فى مكان أمين لا تراه عين ولا تمتد اليه يد سوف ترتدين الحذاء عندما يحين الأوان الذى تحدده لك الآلهة .

تنهدت الأم بعد أن طبعت قبلة عميقة على جبين طفلتها ذات الوجه

الملائكى ، وصدقت النبوءة وصح ما قالته الأم فقد تزوج الأب من امرأة أخرى وأنجب منها ابنتين كانتا أقل من رادوبى جمالا وخلقا .

تمر الأيام وينشغل الأب عن زوجته وبناته وتكثر مكائد زوجة الأب ومحاولاتها المستمرة للوقيعة بين الأب وأبنته اليتيمة رادوبى تغيرت حالة الأب وترك ابنته فريسة لزوجته التى بدأت تعاملها كخادمة فى البيت ووصيفة لابنتيها .

وأصبح كسائها هو ملابس اختيها القديمة ولا تتناول طعامها الا فى المطبخ . وكانوا يرددون لضيوفهن وزوارهن أنها مجرد خادمة البيت وليست اختهن .

وتمر الأيام وتكتشف زوجة الأب وهى تفتش خزانة ملابس رادوبى صندوق مجوهرات امها فاخذته واخفته عندها ثم ذهبت به الى كبير الصاغة واستبدلته بمصاغ آخر لأبنتها حتى لا يقال أن المصاغ الذى تتزينان به هو نفس المصاغ المسروق .

ولما اكتشفت رادوبى ضياع صندوق المصاغ خشت على الصندوق الآخر وكانت تخفيه فى مكان آخر من نفس الغرفة فاخذته فى الليل عندما نام الجميع وذهبت به الى شجرة الورد التى تطل على بركة السباحة ، وهى الشجرة التى زرعتها لها أمها وهى طفلة لتنمو معها وتلعب فى ظلها ـ وحفرت حفرة فى ظل الشجرة اخفت فيها الصندوق كما قالت لها أمها ـ فى مكان لا تراه عين ولا تصل اليه يد .

تمر الأيام والسنين وحياة المسكينة رادوبى تسير من سيىء إلى اسوء بينما سار جمالها وأنوثتها فى نضوج مستمر تحسده عليها اخواتها ويحس كل من يراها انها سيدة البيت وهن وصيفات لها .

وتنتقل القصة عندما تستعد البلاد لاعياد الربيع ويعلن الأمير ابن فرعون أنه سيختار عروسا ينتقيها من بين فتيات منف الجميلات وحدد أحد أيام العيد ليقيم حفلا فى حدائق قصره وفى اليوم المحدد استعدت الفتيات من جميع انحاء المدينة ، كما ارسلت كثير من كبريات العائلات فى أنحاء البلاد بناتها لتجربة حظهن خاصة وان الدعوة كانت مفتوحة لجميع الجميلات .

كان يوما مشهودا لم تر البلاد له مثيل من قبل وفى ذلك اليوم تهيأت أختا رادوبى وتفننت الأم فى زينتهن والبستهن أفخر الثياب وأجمل المصاغ ولم تفكر رادوبى المسكينـة فى طلب مصاحبتهن حتى كـوصيفة حيث انها لم تكن تملك ما يمكنها ان ترتديه خارج المنزل أو حتى فى داخله اذا قام أحد بزيارتهم .

لم تكتف الأم وبناتها بترك رادوبى وحيدة فى القصر لايؤنسها غير دموعها بل أغلقن عليهـا أبواب القصـر ومنافـذه حتى لا يتركن لهـا مجـالا للخـروج أو الهروب . وعندما وجدت المسكينة نفسها وحيدة فى القصر أحست برغبة فى الخروج الى الحديقة للتمتع بشمس الربيع ونسمته وزهور شجرة الورد الحبيبة .
وما أن وصلت الى شجرة الورد حتى اسرعت فى لهفة وأخرجت الصندوق لتتأمل الحذاء الجميل بداخلهالذى خفته وهى طفلة ثم اجتاحتها رغبة عارمة فى تجربته و ارتدائه بعد أن أصبحت شابة كاملة الأنوثة .

نظرت الى قدميها فهالها قذارتهما من طول الاهمال وحرمانها من الاستحمام فى البركة التى بنيت خصيصا لها عندما كانت وحيدة ابويها المدللة فخافت على الحذاء الجميل من الاتساخ فوضعته على حافة البركة وخلعت ملابسها ونزلت لتستحم فى غيابهم وهى مطمئنة انهم لن يعودوا قبل منتصف الليل عندما ينتهى الحفل . واذا بها تفاجا وهى فى نشوتها وقد فقدت كل احساس بما حولها بان

طيور الحديقة قد توقفت عن التغريد وهربت لتختفى بين الاغصان فقد شاهدت نسرا ضخما يرفرف بجناحيه محلقا فوق الحديقة باحثا عن فريسة ينقض عليها ويتخذها طعاما له .

وفجأة يلمح النسر الحذاء الذهبى المرصع باللألىء فظنه فريسة طيبة فانقض فى لمح البصر ليخطف احد فردتى الحذاء الجميل ويحملها بين مخالبه ويحلق بعيدا فى الفضاء حتى يمر فوق مكان المهرجان فتفزعه دقات الطبول والدفوف وصوت الموسيقى فيسقط الحذاء من بين مخالبه ليستقر بين يدى الأمير الشاب وهو جالس فوق المنصة فاتسعت عيناه من المفاجأة المذهلة واذا بالأمير يقلب الحذاء بين يديه ويتأمل رقة منظره وجماله والوانه وصياغة الأحجار الكريمة التى ترصعه واخذ يتخيل الصورة الرائعة لصاحبة الحذاء وايقن أن الاقدار قد حسمت له الأمر واراحته من الأختيار .

وردد الأمير قول « ان صاحبة هذا الحذاء الرائع الذى إرسلته لى السماء لابد أن صاحبته رائعة الجمال وفوق مستوى البشر » ثم غادر المنصة وطلب من الجميع ان يعودوا الى بيوتهم . والتفت الى حرسه وقال لهم لابد من العثور على صاحبة هذا الحذاء اينما كانت لابد أن تحضروا الى أى فتاة تتسع قدمها لذلك الحذاء وتدلنا على الفرده الأخرى .

تمر الأيام والأمير يخرج كل ليلة ومعه فرده الحذاء لزيارة القصور والبيوت التى يدله اعوانه على من بها ممن تحمل نفس المواصفات التى يحددها الى أن ارسلت زوجة سنوفر احد اعوانها لدعوة الأمير لتعرض عليه ابنتيها .

يصل الأمير الى القصر فتستقبله الأم وابنتيها فى أجمل زينة وأحسن الأزياء وتحاول كل من البنتين أن تقيس الحذاء فلا تفلحان ويلمح الأمير رادوبى الجميلة

وهى تقف خلف نافذة الحديقة تسترق النظر الى ما يدور فى القاعة بملابسها المهلهلة وقد أخذ بجمالها الطبيعى فيسأل عنها ترد الأم عليه بانها ابنة البستانى ولا يسمح لها بدخول القصر فخرج الى الحديقة وجذبها من يدها الى داخل المجلس وأمرها أن تقيس الحذاء فاذا بالحذاء يلائم قدمها الجميل ولما اعترضت زوجة الأب على دخولها المجلس وتجربة الحذاء الجميل بقدميها القذرتين خرجت رادوبى الى الحديقة لتعود بالصندوق الابنوس وبه الفرده الأخرى وقصت عليهم قصة الحذاء الذى خطفه النسر كما انه البرهان الوحيد بانها سيدة القصر الذى تعمل به خادمة لزوجة أبيها وهو ملك لأمها .

وأمر الأمير حراسه باحضار عربته الملكية واجلس فيها رادوبى الجميلة الى جواره كما هى بملابسها القديمة وحذائها السحرى ليقدمها الى فرعون مصر والملكة الأم ويشرح لهم قصتها الحقيقية فباركا زواجهما وطلب الملك من كبير صياغ القصر أن يقدم لها أجمل واثمن الجواهر والمصاغ الموجود فى حيازته .

وأقيمت الأفراح فى اليوم التالى وظهرت رادوبى بوجهها الملائكى وجمالها الاخاذ وهى تقف بجانب الأمير فى أجمل زينة وأرقى زى تزين قدميها الجميلتين بحذائها الساحر .

وتحدث المفاجأة عندما يقدم لها الأمير هدية الملك فاذا به صندوق مصاغها الذى تتوسطه تميمة حتحور المقدسة ويضع الأمير التميمة فوق صدرها فاذا به يفاجأ وهى تبحث بين جواهر الصندوق عن تميمة أخرى تعتبر توأما مكملا لتميمتها لتضعها على صدره وتقول له أنها هدية أمها لشريك حياتها لتحمى الآلهة حبهما وتحميهما من عيون الغدر .

ويبحث الأمير عن صائغ القصر ليعلم منه مصدر صندوق المصاغ الذى فقد

من رادوبى وهى طفلة ولما عرف حقيقة الصندوق وسرقته بمعرفة زوجة الأب أمر بالقبض على الأم وبناتها ومصادرة القصر وأموالهم لردها لرادوبى صاحبة الحق فى كل شىء ولكن رادوبى تطلب من الأمير الذى وعدها الا يرفض لها طلبا ان تصفح عن زوجة الأب واختيها « لان قلبها كما علمتها أمها لا يتسع للحقد والبغضاء » .

● سندريللا عصر الاهرامات :

صورة أخرى لحكاية سندريللا تسبق الصورة الأولى بعدة قرون نسبها المؤرخون الى الملك منكاورع حفيد الملك خوفو وقد وردت القصة مع اختلاف فى بعض تفاصيلها فى كتاب هيرودوت عن تاريخ مصر وغيره من كتاب الاغريق القدماء فى عصور متتالية ونقلها بروكسبانك الى الإنجليزية فى كتابة « قصص الفراعنة عبر العصور » .

تبدأ حوادث القصة فى مدينة « نقراتيس » القريبة من مدينة سايس فى شمال الدلتا حيث كانت تعيش أجمل فتيات المدينة وتدعى « درويس » فى قصرها المطل على النيل ـ وتخرج ذات صباح لتتمتع بالاستحمام فى بركة اللوتس التى تتوسط حديقة القصر تحت أشعة شمس الربيع الدافئة . وبينما كانت تتهادى على صفحة الماء بين زهور اللوتس كالبجعة الحالمة وقد خلعت حذاءها المطرز بالذهب والمزين بالاحجار الكريمة وتركته على حافة البحيرة كان هناك نسر عملاق يرفرف بجناحيه وهو يحلق فى سماء الحديقة . فلفت نظره بريق حذائها الخاطف الذى تزينه الاحجار الكريمة بالوانها البراقة فأنقض بسرعة البرق على الحذاء وخطف فردة وحملها بين مخالبة القوية وطار بها يسابق الريح فى اتجاه الجنوب حتى وصل الى مدينة منف . وأثناء رحلته سقط الحذاء الجميل بين يدى الملك وهو جالس فى فناء القصر يتصدر منصة القضاء .



● سندريللا ـ عصر الأهرامات

ورفع الملك الشاب فردة الحذاء بين يديه فبهره منظره فأخذ يدقق فى جمال شكله وبديع تكوينه وسرح بخياله فى جمال ورقة قدمى صاحبته والجمال الكامل السحر الذى تحمله ساقى تلك القدمين وسرعان ما أمر بارسال رسله وخاصة حرسه للبحث عن صاحبه الحذاء واحضارها اليه ووعدهم بجوائز سخية لمن يأتى بها اليه .

وسار موكب الحاشية ليجوب البلاد طولا وعرضا فى اتجاه الشمال الذى حلق منه النسر فى طيرانه حيث توجد دلتا نهر النيل المقدس بفروعه السبعة ومدنها الجميلة التى تتوسد شواطئه .

وكلما دخلوا مدينة من مدن الدلتا اذاعوا الرسالة الملكية وأعلنوا عن الجائزة الكبيرة التى سينالها كل من يرشد عن صاحبة الحذاء بجانب الهدية المقدمة القيمة والتقدير السامى الذى ستناله صاحبة الحذاء الساحر الذى ستخطو به الى قلب الملك وتشاركه حياته لتصبح ملكة على مصر

وفى كل مدينة كان يتوافر على الحاشية عدد كبير من النساء والفتيات الجميلات تدعى كلا منهن انها صاحبة الحذاء بعدما سمعت عن أوصافه وأتت بعض الفتيات تحمل كل منهن فرده حذاء مماثلة للأوصاف التى سمعت عنها مدعية كل منهن انها الفردة الأخرى من الحذاء التى تحتفظ بها .

كان ركب الحاشية يمكث فى كل مدينة يزورونها ثلاثة أيام ينتقل بعدها الى مدينة أخرى . وفى آخر المطاف يصل الركب الى مدينة تقراطيس فى أقصى الشمال من دلتا النيل حيث يعلن الرسالة الملكية وزادوا من قيمة الجائزة والعطايا حتى لا يلازمهم الفشل ويعودوا بخفى حنين بدلا من العودة بالحذاء

السحرى وصاحبته . ومر يومان لم يتقدم أحد من فتيات المدينة وبدأ اليـأس يدب فى نفوسهم لفشلهم فى تحقيق رغب فرعون الشاب وأمنيته .

وفى اليوم الثالث بينما كان وزير الملك وحاشيته يشدون الرحال استعدادا للرحيل ومغادرة المدينة اذا بعجوز شمطاء مهلهلة الثياب منحنية الظهر تتوكأ على عكاز تطلب مقابلة رسول الملك فيتصدى لها الحراس وهم يتضـاحكون ويسخـرون منها ويقـول أحدهم . . هـل تريـد سيدتى الجميلة أيضـا قياس الحذاء ؟

فترد عليهم وهى تصرخ بأعلى صوتها نعم سأقوم بقياس الحذاء وسـأنال الجائزة الكبيرة التى وضعها الملك لأن قدمى هى قدم السعد التى تبحثون عنها والتى سترشدكم الى مكان الحذاء وصاحبة الحذاء .

ويدور حوار بين العرافة العجوز والوزير تقول فى نهاية مـا عليكم الا أن تسلمونى المكافاة لأقدمها قربانا للآلهة وأنا أدلكم على صاحبة الحذاء وأرشدكم عن مكانها .

فيأمر الوزير باعطائها القلادة الذهبية المرصعة بـالجواهـر والتى أمر الملك باهدائها لمن ترشدهم الى صاحبة الحذاء فتضع القلادة حول عنقها وتقول له ـ ان هدية الآلهة لفرعون الشاب أسمها درويس ـ فيسألها عن مكانها فتقول له ـ هناك فى أقصى جنوب المدينة ستجدها فى قصرها الابيض المطل على النيـل وسيدلك عليه النسر العملاق الذى حمل فردة الحذاء الى منف وستجده محلقا فى سماء الحديقة .

وعندما بلغا مكان القصر طرق الرسول بابه وقـال للحارس انهما يـريدان مقابلة سيدة القصر ويرد عليه الحارس بأن سيدة القصر لا تستقبل أى زائر بغير

دعوة وميعاد . فأخبره أن الزائر هو وزير فرعون وأنه يحمل رسالة ملكية خاصة لسيدته فما أن سمع الحارس أسم فرعون مصر حتى خر ساجدا ثم هرول مسرعا لابلاغ الخبر وعاد بعد برهة ليفسح لهما الطريق الى قاعة الاستقبال بالقصر التى كانت تتصدرها دوريس الجميلة وهى فى كامل زينتها .

وبعدما تلى مضمون الرسالة ردت عليه بقولها :

لما أرسلكم فرعون من منف الى نقرانيس لتوصل تلك الرسالة لى بالذات ؟ فرد الوزير بأن الرسالة المذكورة هى مرسوم عام وليست رسالة خاصة أمر جلاله الملك بأختيار مائة ألف من أجمل جميلات مصر بعرضه عليهن لأنه يخص واحدة فقط من بينهن وقد أنتهت مهمتنا بالأمس باتمام العدد ولم ننجح فى مهمتنا بالوصول الى صاحبة النصيب لتسليمها الرسالة الأخرى الخاصة لها .

وعندما قررنا العودة فى الصباح أوقفتنا حتحور لتدلنا على أسم صاحبة الرسالة التى نحملها ومكان اقامتها . وهنا قال الوزير اما الرسالة الثانية فها هى وأخرج الحذاء البراق الذى كان يخفيه تحت طيات وشاحه وهو يقول :

أن كل ما أرجوه من سيدتى الجميلة أن تجرب وضع قدمها الجميلة فى فردة الحذاء حتى تتأكد من أن رسالة فرعون خاصة بها .

وهنا تقدمت وصيفة درويس الجميلة بصندوق مزخرف من خشب الأبنوس المطعم بالذهب والفضة وقدمته للوزير وهى تقول ـ وهذا هو ردى على رسالة فرعون العظيم . ويفتح الوزير الصندوق فتعقد المفاجأة لسانه عندما يجد بالصندوق الفردة الأخرى لنفس الحذاء التى يبحثون عنها .

وتختتم القصة بالنهاية السعيدة حيث تغادر دوريس الجميلة بنقـراتيس فى اليوم الثالث بعد أن سيقتها أخبارها الى منف .

وهكذا يتحقق قول العرافة العجوز « بأن الحذاء السحرى سيخطو بقدميها الى قلب فرعون وأعتاب العرش » .

المهم لقد كانت قصص سندريللا الفرعونية موضع تحليل وتعليق كثير من نقاد الأدب ومؤ رخو تاريخ مصر خاصة وأن هيرودوت قد سجلها على أنها من الوقائع التاريخية لتاريخ عصر الأهـرامات ونسبهـا للملك متكاورع بـالذات صاحب الهرم الثالث . بل قد اضاف الى ذلـك أن دوريس أو رادوبيس قد ساهمت بأموالها الخاصة فى بناء الهرم وتكملته بعد موته مما دعا بعض المؤ رخين الى الاعتقاد بأن رادوبيس هى الملكة نيتوكـريس أخته أو زوجتـه التى تولت العرش بعده وأكملت بناء هرمه لقد جـانب هيرودوت الصـواب بسرد تلك القصة ووقائعها التاريخية خاصـة وأن شخصياتهـا والاماكن التى دارت فيهـا أحداثها حقيقية وواقعية . فمدينة نقراطيس من المدن المصرية المعروفة والتى أزدهرت فى عهد الاسرة الثانية والعشرين وكانت من أهم المدن التجارية التى يتقابل فيها تجار بلاد البحر الأبيض .

تلك المدينة لم تظهر الى حيز الوجود الا فى القرن السابع قبل الميلاد أى بعد عهد منقرع بألفى سنه .

وأشتهرت نقراطيس بجانب شهرتها كمركز تجارى بأنها كانت مـركزا من مراكز اللهو وأشتهرت بغانياتها الاغريقيات اللاتى وصفهن كثـير من الكتاب والمؤ رحين بأنهن كن على درجة كبيرة من الجمال ومن أشهر غانيات نقراطيس **كما وصفهن مؤ رخو الأغريق « رادوبيس ودوريس وارخيديكى » . وقد ذكر فى**

تـاريخ الأغـريق فى مصر ان رادوبيس الجميلة أحضـرها الى مصـر كانشـوس السامورى وأتى بها الى نيقراطس ليتكسب من ورائها فأعتقها أخو الشاعرة سافو وأصبحت بعدها من أكبر غانيات مصر وأنها جمعت أموالا طائلة ووقع فى غرامها أحد أمراء البيت المالك . وقد حاول بعض الكتاب تصحيح قصة هيرودوت بأنها وقعت فعلا بين الملك بسماتيك الثانى والغانية رادوبيس وهو تحليل أقرب الى الصواب .

ومهما كانت حقيقة القصة فمما لا شك فيه أن الكاتب المصرى القديم أمكنه أن يشغل المؤرخين والكتاب والأدباء بواسع خياله الرائع لآلاف السنين ويقدم لهم مادة خصبة لينسجوا على منوالها خيوط أدبهم المعاصر على مر السنين .

●



● الزوجة الخائنة

المعقول واللامعقول في حكاية الزوجة الخائنة ! !

وتتلخص قصة « الزوجة الخائنة » فى أن أخوين مات أبوهما وترك لهما مزرعة صغيرة وبيتا يضمهما فقام الأخ الأكبر « أنوب » برعاية أخية الصغيرة « باتا » وأشرف على تعليمه ونشأته بينما كان هو يقوم بأعمال المزرعة والبيت وحده الى أن كبر باتا وأشتد ساعده فقام بمساعدة أخيه فى فلح الأرض وزراعتها وتربية أنعامها . كما كان « أنوب » فى كل موسم من مواسم الحصاد يحمل خيرات المزرعة وثمارها لبيعها فى سوق القرية وشراء ما يحتاج اليه البيت والمزرعة وتلبية طلبات واحتياجات أخيه « باتا » .

فى احدى رحلاته الى سوق القرية أعجبت به احدى جميلاتها فوقع فى غرامها . ويدور حوار بينهما تقنعه فى نهايته بحاجته اليها وحاجة البيت الى امرأة تقوم بخدمته ورعايتها حتى ترفرف على البيت السعادة وتطرد الوحدة .

ويعود أنوب ليخبر أخاه بما حدث وقد حملته بعض الهدايا لأخيه . ويأخذ أنوب اخاه لزيارتها واستشارته فى الزواج منها واقامتها معهما فيوافق باتا ارضاء لسعادة أخيه الذى سيطر عليه حبها . ويعودون معا . . ويضم البيت ثلاثتهم .

وتصف البردية أن الأخ الأصغر عاش معهما فى البيت كأبن لهما فكان يخيط لهما الثياب ويحلب الأبقار ويرعى الماشية فى الحقل ويعتنى بها فى الزريبة .

كانا يذهبان معا كل صباح الى الحقل بعد أن يصحب باتا الأبقار ويحمل أخاه معدات الحقل . وفى يوم كان يزرعان فى الحقل فاحتاجا الى بعض البذور فطلب أنوب من باتا أن يذهب الى البيت لاحضارها .

ولما بلغ الدار رأى زوجة أخيه منهمكة فى تمشيط شعرها وتعطير جسمها الذى تكسوه غلالة رقيقة تكشف عن مفاتنها فقال لها قومى وهاتى لى كمية من البذور لكى أخذها وأعود بها إلى الحقل بدون ابطاء كما أمرنى أخى .

فقالت له المرأة : ادخل الغرفة وخذ من البذور كما تريد . فدخل وملأ وعاءين من بذور القمح والذرة .

ثم سألته ما وزن الحمل الذى تحمله فوق كتفيك فقال : مكيالين من الذرة وثلاثة مكاييل من القمح . فنظرت المرأة الى الصبى بصدره العارى وعضلاته البارزة .

وقالت : ما أشد قوتك وما أحلاك يا فتى ومال قلبها اليه فراودته عن نفسه وهى تقول تعال لنقضى ساعة من الراحة والمرح . . وغلقت الأبواب وقالت : هيت لك .

وهنا غلا الدم فى عروقه وهاج كنمر مفترس . . أما هى فقد وقفت مذعورة خائفة وهو يقول لها معاذ الله أن أخى الكبير رب نعمتى وقد أحسن مثواى فلا أخونه فى زوجته . . وقال لها يا امرأة كنت لى مثل أمى وأخى فى منزله أبى لأنه أكبر منى . ما هذا الشر الذى تكلمت به ؟

فأضمرت المرأة فى نفسها الكيد لهذا الفتى الذى هزمها وفوت عليها ما كانت تريد من اللذة والمتاع .

وعاد الزوج كعادته فى المساء لتقابله متمارضة متباكية متظاهرة بالألم تشكو من أذى ألم بها ولم تقدم له ماء لغسل يديه كعادتها ولم تشعل له السراج فكان البيت فى ظلمة ، وحين رآها زوجها على هذه الحال قال لها : من الذى اعتدى عليك ؟ انهضى وخبرينى . . فأجابت لم يؤذنى أحد الا أخوك الأصغر فلما جاء ليأخذ البذور وجدنى وحدى هجم على وقال لى ارخى شعرك وهيا بنا نلهو ونمرح وراودنى عن نفسى فقاومته وقلت له « الست أنا مثل أمك . . وأليس أخوك مثل أبيك ؟ » .

على أنه لم يصغ الى كلامى واستخدم العنف معى لكى لا أبوح لك بهذا السر « وما جزاء من يفعل ذلك الا القتل أو عذاب اليم . . والأن أن كنت لا تقضى عليه فأنا سأقتل نفسى » .

وهنا اهتاج الأخ الأكبر واستشاط غضبا كنمر مفترس وشحذ خنجره وأخذه فى يده ووقف وراء باب الحظيرة ليقتل أخاه الأصغر عند عودته مع الأبقار فى المساء .

وبعد أن غابت الشمس حمل الأخ الأصغر طيبات الحقل على كتفه وعاد مع الماشية كعادته . وفى طريق العودة بصحبة أبقاره المخلصة يحلق طائر من طيور

الأيبس « أبو منجل » فوق رأسه ويحط على ظهر البقرة بجواره ويسر اليه بما انتواه أخوه وبما دبره له من شر (وطائر أبو منجل يعتبر رمز للمعبود تحوت رسول المعرفة ويكنى به فى الأدب الفرعونى للوحى الهاتف) ومما يلاحظ الى اليوم وقوف طائر أبو منجل على ظهور الأبقار فى الحقول والمراعى ليخلصها من الحشرات التى تعلق بجسمها وتضايقها .

وعندما اقترب باتا من الحظيرة ذكرته البقرة مرة ثانية بقول الطائر وقالت له احذر فان أخاك يقف خلف بابا الزريبة وفى يده السكين . فأطل الى أسفل الباب ولمح قدمى أخيه واقفا وهو يضمر له الشر .

فألقى بحمله على الأرض وفر هاربا بين الحقول وأخوه يركض وراءه والخنجر بيده . ولكن الآله « رع » خف لنجدة الغلام البرىء ووضع نهرا تسبح فيه التماسيح بينه وبين أخيه وقضى الاثنان الليل كله يقف أحدهما قبالة الآخر فى حوار طويل برأ فيه باتا نفسه وجب عضو تناسله (وهو ما يعبر به عن يمين طهره وبراءته من الاتصال بها أو ارتكاب جريمة الزنا التى تغضب الآلهه) .

وهكذا أقنع أخاه فى الصباح بأنه لم يرتكب جرما فى حق الآلهة أو حق أخيه وأنه أخطأ اذ صدق زوجته .

وأبان باتا عزمه على الرحيل الى وادى الأرز حيث سيقضى بقية حياته هناك بعيدا عن الناس وأنه سيضع قلبه على زهرة فى أعلى احدى أشجاره ، وعين له علامة اذا حدثت كانت دليلا على وفاته ويطلب من أخيه حينئذ أن يذهب الى وادى الأرز ويبحث عن قلبه ويضعه فى الماء فتعود الى باتا الحياة ثانية وينتقم لنفسه ممن تسبب فى قتله .

وذكر له أن العلامة التى سيعلم بها أمر موته هى فوران الخمر فى اناء شربه وانسكابها على الأرض .

ويفترق الأخوان ويعود أنوب الى داره وقد صمم على قتل زوجته التى تأكد من خيانتها وتسببها فى فقد أخيه الى الأبد . وعندما لمحت زوجها وهو عائد والشرر يتطاير من عينيه وشاهدت الخنجر فى يده لم تلوثه دماء أخيه توقعت منه شر الانتقام فتسللت من الباب الخلفى للدار وأختبأت بين أشجار الحديقة وأعشابها حتى خيم الظلام فانسابت بين المزارع كالحية الرقطاء حتى وصلت الى حافة الصحراء حيث كان ابن فرعون يضرب خيام الصيد رياضته المحببة فالتجأت الى خيمته وطلبت منه حمايتها بعدما ادعت انها ابنه أحد كبار التجار وأنها هربت خلسة فى ظلام الليل لأن أهلها يريدون تزويجها من حاكم شرس فى سن أبيها .

فرق الأمير لروايتها وأخذ بجمالها الساحر ووقع فى شراك غرامها واصطحبها معه فى رحلة الصيد التى عاد بعدها الى قصره ليقدمها لزوجته ويطلب منها أن تتخذها وصيفة لها .

وبدأت الزوجة الخائنة تنسج خيوط مؤامرة جديدة تتخلص بها من الأميرة لتحل محلها فى القصر بعدما حلت محلها فى قلب زوجها الأمير فطلبت من ساقية الأميرة التى تعد لها الشراب فى السهرة أن تحضر لها الخمر والكاسات لتعدها بنفسها ولمحتها الوصيفة وهى تضع سائلا من زجاجة تحملها فى كأس الأميرة وتطلب من الوصيفة أن توزع الكاسات على المائدة وتتأكد من وضع كأس الأميرة أمامها فما كان من الخادمة المخلصة التى راودها الشك فيما قامت به

الزوجة أو وصيفة الأميرة المحبوبة فغافلتها وصبت ما كان فى كأس الأميرة فى كأس الوصيفة وأعدت كأسا آخر للأميرة .

وعندما اجتمع الشمل تعجلت الوصيفة فى الشرب فى نخب شرف الأميرة حتى تتخلص منها سريعا فاذا بها تسقط فريسة السم الفتاك وتدفع حياتها ثمن خياناتها .

ونعود الى باتا الذى تبدأ رحلته الى وادى الأرز بمجموعة من المغامرات التى لا تخلو منها قصة من قصص الدولة الحديثة فيسير باتا وحيدا فى ظلام الليل فى الصحراء اللانهائية لا يرى فيها الا نجوم السماء ولا يسمع فيها الا عواء الذئاب ونعيق البوم وفحيح الأفاعى ودبيب الحشرات واذا بـه يفاجأ باشباح عصابة من قطاع الطرق تتـابع خـطواته لتحـاول السطو عليـه والفتك به .

وبينما هو يعدو للأختفاء منهم اذا به يقع فى جب أو بئر مهجور يخفيه عن أعينهم ولما يئسوا من اكتشاف مخبئه عادوا من حيث أتوا .

ومع شروق الشمس تلمس يداه حبلا يتدلى فى البئر فتعلق به وتسلق عليه حتى وصل سالما الى السطح فيفاجأ فى ضوء النهار بان الحبل الذى تعلق به ما هو الا ثعبان ضخم فضى اللون وعيناه بلون زرقة السماء وطمأنه بقوله أن الآله أرسله اليه لحمايته وانقاذه لعلمه ببـراءته ويفهم من أجـزاء الحوار بـين باتـا والثعبان ـ الذى فقد جزء منه ـ ان الثعبان يرد له جميلا سبق أن أسداه باتا اليه وهو لا يعلم عندما أنقذ أولاده من الغرق عندما وصلت مياه الفيضان الى حجرة المزرعة ومنع المياه من أن تغمر الجحر وتقضى على صغار الثعبان الذى كان بعيدا عن المزرعة فى البحث عن قوت أولاده .

ويطلب باتا من الثعبان أن يرشده الى طـريق أمن يوصله الى وادى الأرز فيقول له الثعبان « اذا أردت أن تصل سالما الى وادى الأرز ولا يجرؤ أحد على اعتراض طريقك فعليك أن تقتضى أثر المدق الذى تركته فوق أرض الصحراء فذلك الطريق هو الذى سيوصلك فكل الحيوانات الضارية أو قطاع الـطرق يتحاشون الاقتراب منه خوفا من ملك الزواحف وبطشه فاياك أن تبتعد عنه أو تخطئه وسيصل بك إلى الأرض الموعودة بعد سبع ليال وسبعة أيام .

وهكذا مرت الأيام برتابتها حتى وصل باتا الى وادى الأرز الذى لاح له فى الأفق البعيد فى اليوم السادس فاطمأن قلبه وسجد للآله شاكرا .

وعاش باتا وحيدا فى وادى الأرز الذى يطل على البحر بأشجاره الباسقة . وعاش كما أوحت له الآلهة فى عزلة عن الناس وتحاشى رؤ ية النساء حتى يأمن كيدهن . فالمرأة هى التى أخرجته من أرض بلاده ليعيش سجينا فى وادى الأرز بعيدا عن وطنه وأهله (كما عاش يوسف عليه السلام سجينا فى أرض مصر بعيدا عن وطنه وادى الأرز) .

وقد حرص باتا على الأحتفاظ بقلبه الذى نما على شكل زهرة على قمة أعلا شجرة من أشجار الغابة حتى لا تصل اليه أو تلمسه يد المرأة حتى يعيش قلبه طاهرا ونقيا يستقبل أشعة الشمس ونور الآله كل صباح كما أوحت اليه الآلهة وتمر السنون تباعا وهو يرقب قلبه الذى تعذبه الوحدة ويتعبْد لرْبه .

ولما رأته الآلهة وحيدا فى الغابة وقد تعلق قلبه بالمساء أشفقت عليه وجعلت الآله خنوم يسوى له زوجة صالحة جزاء استماعه لتعاليم الآله والعمل بها طوال تلك المدة . مرحلة التجربة ـ وهنا يأمر باتا زوجته المخلصة ألا تغادر الغـابة

وتنزل الى البحر كما أمرته الآلهة ولكن الزّوجة غافلته ذات صباح وخرجت الى البحر رغم تحذيره لها من العمل . فجعلت تتأمل جمالها على مرآة صفحة الماء وتتحسس مفاتن جسمها ثم خلعت ملابسها وأسدلت ضفائر شعرها وألقت بنفسها فى أحضان الأمواج فأراد البحر أن يختطفها ولكن باتا الذى كان يرقبها من بعيد أسرع اليها وألقى بنفسه بين أمواج البحر الثائر وأنقذها من براثنه وكل ما أمكن البحر أن يأخذه خصله من شعرها طفت على وجهه وحملها تياره حتى وصلت الى شواطىء مصر . وهناك فاح شذاها وانتشر رياها فشغف الفرعون بصاحبتها فارسل فى طلب ساحر القصر ليستدل منه عن صاحبة الخصلة ومكانها . فقال له الساحر « لقد أتت الخصلة مع رياح الشرق وتيار البحر التى حملتها أمواجه من بلاد بعيدة تكسوها أشجار الأرز وأطنب فى وصف جمالها الساحر الذى وقع اليه فى أسره وحاول اختطافها والاحتفاظ بها لنفسه ولكنه لم يتمكن من الحضول على أكثر من تلك الخصلة التى حملها اليك .

فأرسل الملك أحد أتباعه المحتصين للبحث عنها حتى وجدها تجلس وحدها بالقرب مِن الشاطىء فأخبرها بأنه رسول الملك الذى شغف بها حبا عندما وصلته خصلة شعرها فاتفقت مع الرسول على أن ينتظرها بعربته الملكية فى مكان معين حددته له فى أسفل الوادى عند مخرج الغابة حيث ستوافيه فى منتصف الليل عندما ينام زوجها ويشرق القمر . ويستيقظ باتا فى صباح اليوم التالى فلا يجد زوجته ويعرف باتا من طيور الغابة أن احدى عربات فرعون قد اختطفتها وهربت بها فى اتجاه مصر .

وتصل زوجة باتا الى قصر فرعون الذى يقع أسير غرامها وتغريه ليعلن زواجه عليها لتصبح الملكة المتوجة . . أمنيتها التى كانت تحلم بها .

ولما كانت تخاف بأس زوجها الذى سينتقم منها كما انتقم منها أخوه من قبل (ولم تفسر البردية علاقتها بأخيه أو بزوجة أخيه التى خانته) فقد أغرت الفرعون بقطع شجرة الأرز التى تحمل قلب باتا ، حتى لا يلاحقها باللعنة ويقضى عليها وبذلك تستريح منه الى الأبد وتصبح ملكا لفرعون وحده . وهكذا يرسل فرعون رجاله للبحث عن شجرة الأرز التى تحمل قلب باتا فى المكان الذى وصفته وحددته له زوجته وأمرهم بقطعها . واستدلوا على الشجرة بالزهرة الكبيرة التى تعلو قمتها وقاموا بقطعها فسقط قلب باتا بسقوطها . . ومات .

عندئذ حدثت العلامة التى كان قد ذكرها باتا لأخيه « أنوب » ليعلم بها أمر موته . فبينما كان أنوب يجلس وحيدا فى حديقة داره التى كانت تجمعه مع أخيه بعد موت أبيهما وقبل أن تفرق بينهما الزوجة الخائنة وبينما هو غارق فى دوامة أفكاره وما وصل اليه حاله وحال أخيه الذى تسببت فيه الزوجة الخائنة . ينقبض قلبه فاذا بانية الخمر تهتز فى يده ويفوز الخمر وينكسب على الأرض وهنا يوقن بأن أخاه قد مات .

فيشد رحالة فى الحال الى وادى الأرز لينقذ قلب أخيه ويستمر البحث عدة سنوات حتى يجد أنوب قلب أخيه فى صورة فاكهة نادرة ووحيدة وله احساسه على أنها روح أخيه . فحملها ووضعها فى اناء مملوء بالماء كما أخبره عندما افترقا . وهكذا عادت الحياة الى باتا الذى صير نفسه ثورا قويا حمل أخاه الى مصر .

وعندما وصل الى داره طلب من أخيه أن يقوم باهدائه الى فرعون ليحتفظ به فى قصره ضمن الثيران الملكية المقدسة ففرح فرعون بذلك الثور النادر وقربه اليه لما يمتاز به من علامات مقدسة تتوج جبهته .

وتنزل زوجته الى الحديقة لمشاهدة الهدية التى أهداها أنوب للملك فيقترب منها الثور الجميل ويفصح لها عن شخصيته وأنه جاء لينقذها ظنا منه أن رجال فرعون اختطفوها وأنها بريئة مما حدث وما زالت تحفظ له الود والوفاء . فاذا بها تغرى فرعون بذبحه وتقديمه قربانه للآلهة حتى تتخلص منه الى الأبد . ويستمع الى رأيها ويستجيب لمكيدتها فيأمر بذبح الثور أمامها وفى مكان ذبح الثور تطايرت منه نقطتان من الدم نبتت . مكانهما شجرتان من أشجار الأتل ونمت الشجرتان بسرعة ولمع ساقاهما الفضيتين وقد سكنت فيهما روح باتا . وبينما كانت الزوجة تجلس فى ظلهما أسر باتا الى زوجته بأمره وهو لا يعلم أنها هى التى أمرت بذبحه لتتخلص منه .

فما كان منها الا أن أغرت فرعون بقطع الشجرتين وتسليمهما الى صناع الأثاث وفنانى القصر لصناعة الأثاث .

وفى أثناء قيام الصناع بنجارة الأثاث وهى تراقب حفر الأخشاب تطايرت شطيتان من نشارة الخشب ودخلتا فى فمها . فحملت وأنجبت صبيا جميلا صار وليا للعرش . وعند وفاة الملك نصب هذا الصبى خلفا له ملكا على البلاد . .

ولم يكن ذلك الصبى الا « باتا » نفسه وعندما أيقنت أن الملك هو باتا زوجها الذى خانته ودبرت سلسلة المكائد المتتابعة للتخلص منه تأكدت أنه سينتقم منها شر انتقام لنفسه ولأخيه .

وألقت شراكها هذه المرة حول الضابط الشاب أخى الملك الراحل والذى كان يحقد عليه لأنه من أم غير شرعية ، وأغرته بالتخلص من باتا ليخلو له الجو فيجلس على العرش وتصبح هى زوجة له .

ويخرج باتا ليتجول فى حديقة القصر حتى ينتهى الحراس من اعداد عربة الصيد ومعداته ويجلس ليستريح فى ظل احدى أشجار الحديقة فاذا بطائر « أبو منجل » الهاتف يحط على فروع الشجرة التى تظلله ويحذره من الخروج للصيد ويسر له بما دبرته الزوجة الخائنة فيعود فورا الى القصر ويأمر بالقبض عليها وعلى أعوانها بعد أن يعترف له رفيق الرحلة الذى كان قد كلف باغتياله بدورها فى المؤامرة فيقتلها بيده بسهام الصيد التى كان سيقتل بها .

وهكذا انتقم باتا من الزوجة الخائنة شر انتقام .

●



● لعنة الكنز

اللصان الشقيقان ولعنة الكنز !

أن قصة اللصان الشقيقان أو كنوز الملك هيريوس التى نسبها كتاب أدب القصـة العالمى فى تـراجمهم الى الإغريق هى فى الـواقـع من قصص الأدب الفرعونى القديم بالدولة القديمة المعاصرة لبرديات وستكار أو ألف ليلة وليلة الفرعونية التى ألفها الكاتب المصرى لملوك عصر الأهرامات وتتبع نفس النسج والأسلوب القصصى لكتاب ذلك العصر .

تتلخص أحداث القصة الإغريقية فى أن الأخوان « جاميدس وتروفونيس » كانا من أشهر البنائين ، كلفهما الملك هيريوس ببناء خزانة منيعة لحفظ كنوزه فقاما بعملها بمهارة فائقة ولكنهما حشرا سرا بين أحجار جدارها الخارجى حجَرا يمكن سحبه فى سهولة ويسر بحيث يتمكن من يريد الدخول الى الخـزانة أن يأتيها من غير بابها الذى وضعت على أختامه وترباسه حراسه قوية .

وقام الأخوان بعد أن وضع الملك كنوزه فيها بدخول الخزانة من وقت الى

آخر وسرقة بعض ما بها من أموال وكنوز. عندما اكتشف الملك هيريـوس أن كنوزه تتناقص نصب فى الخزانة شركا وقع فيه أحد الأخوين العاملين وعجز أخوه عن تخليصه فاضطر أن يقطع رأسه ويهرب بها حتى لا يتعرف أحد عليه .

فالقصة بنسجها الإغريقى وما دخل عليها من تحوير لا تختلف عن الأصل الفرعونى الذى يسبقها بألفى سنة ، والتى استمر تداولها ـ ككثير غيـرها من القصص الشعبى لعدة اجيال ـ حتى نقلها كتاب الإغريق ومؤرخوهم الذين توافدوا على مصر فى العصور المتأخرة ابتداء من القرن الخامس قبل الميلاد .

وتدور وقائع القصة الفرعونية حول كبير من أثرياء منف كان يمتلك ثروة طائلة ويدخر من الكنوز ما لم يستطيع أحد فى منف أن يقتنى أكثر منها أو يدانيه فيها .

واشتهر بين اهل المدينة ببخله الزائد وتقتيره على زوجته وولديه الوحيدين ، كما لم يكونوا على وفاق معه عندما بلغهم انه على صلة بغانية معروفة فى مدينة « سايس » كثيرا ما يرحل لقضاء أيام بجانبها ويغدق عليها الكثير من أمواله وكنوزه كما اشاعت فى المدينة أنه سيتزوجها ، وبذلك ستصبـح سيدة الـدار وتستولى على قصره وكنوزه ويحرم منها زوجته وولديه .

وحرصا منه على كنز تلك الثروة فى أمان ابتنى خزانة من الحجر الصلب تمتد احدى حوائطها الى الجدار الخارجى للقصر .

عندما شرع البناء فى بناء حوائط الخزانة فكر ابناه فى حيلة اتفقا مع البناء على تنفيذها بعد ما رشوه بالأموال الوفيرة وتنطوى الحيلة على وضع حجر سرى بين أحجار الحائط بحيث كان من السهل على رجل واحد يرفعـه والمرور خـلال الفجوة التى يسدها .

ولما انتهى البناء من القيام بمهمته أجزلوا له العطاء حتى ليتمكن من مغادرة المدينة حتى اذا انكشفت الحيلة لن يتمكن الأب من ملاحقته والانتقام منه واتهامه بالسرقة . وفى نفس الوقت يضمن الأخوان ألا يشى بهما أحد .

وما أن تسلم الأب الخزانة حتى كنز أمواله فيها بعد أن وزعها فى قدور متراصة .

وقام بالعمل وحده طوال الليل فى غيبة أهل القصر حتى لا يطلع أحد على أسرارها ثم أغلق باب الخزانة الذى لا يمكن لأحد أن يفتحه أو يصل الى سر فض أختامه .

ولم ينتظر الولدان طويلا وخرجا من القصر ليلا أثناء غياب والدهما خارج المدينة واكتشفا الحجر بالجدار فرفعاه يديهما وانزلق بدون مشقة ودخلا الخزانة فحملا مقدارا كبيرا من الأموال وعندما عاد الأب من رحلته فتح الخزانة للاطمئنان على ما بها فأخذته الدهشة عندما شاهدان المال الذى بالقدور قد قل رغم أن الخزانة كانت أبوابها محكمة وأختامها سليمه لم تمسها يد . ولما قام بفتح الخزانة مرة ثانية وثالثة تبين له أن الأموال أخذه فى النقصان باستمرار وخامرة الشك القاطع أن هناك من تمكن من دخول الخزانة بطريقة سرية وأنه لن يتوانى فى السطو عليها مرات أخرى .

فلجأ بدوره الى الحيلة وأمر بصنع أشراك وضعها بجانب القدور التى وضعت بداخلها الأموال والكنوز حتى اذا اقترب أحد من احداها وحاول فتحه وقع فى مقابض الشرك ولن يتمكن من الافلات .

لما دخل الاخوان الى الخزانة كما فعلا فى الأيام السابقة اقترب أحدهما من أحد القدوروحاول فتحه وقع لتوه فى الشرك ولم يتمكن من تخليص نفسه ، ولما

أيقن وهو فى مأزقه أنه لابد هالك طلب من أخيه أن يتقدم ليقطع رأسه ويأخذها معه حتى اذا رآه أحد لا يمكنه التعرف على شخصه حتى لا يكون فى ذلك هلاك أخيه ، فاقتنع الأخ بوجاهة الفكرة وقام بتنفيذ ما أمره به أخيه ورجع الى بيته يحمل رأس أخيه .

وفى الصباح عندما دخل الأب الخزانة ذهل عندما فوجىء بجثة اللص فى الشرك دون الرأس بينما كان المكان سليما لا أثر فيه مطلقا لدخول أحد أو الخروج منه ، فلجأ فى حيرته الى الحيلة فعلق جثة اللص المجهول فوق الحائط وأمر الحراس الذين وضعهم لحراستهم أن يقبضوا على من يرونه باكيا أو نادبا أو من يحاول سرقة الجثة حتى يمكنه الاستدلال على حقيقة صاحب الجثة ومن كانوا يعاونونه أو يعمل لحسابهم ..

ولما علقت الجثة ثارت ثورة الأم وطلبت من ابنها الوحيد ـ الذى تبقى لها ـ أن يحتال بكل ما يستطيع من الوسائل والحيل حتى يفك جثة أخيه ويحضرها لها لأن الأم كرهت أن تدفن جثة ابنها بغير تحنيط فيكون مصيرها الفناء وحرمانها من الوصول الى عالم الخلود حيث يجتمع شملهم جميعا بعد حين .

ويلجأ الابن الى أحد السحرة الذى يعطيه اناء من الخمر بعد أن يطلق تعاويذه السحرية عليه ويطلب منه أن يتحايل على الحراس حتى يسقيهم من الخمر المسحور فاذا تمكن من ذلك سيخلو له الجو والمكان لفك قيود جثة أخيه والهروب بها .

يذهب الابن بعدما تغرب الشمس حين لا يكون هناك أحد بالقرب من الجثة المعلقة على الحائط سوى الحارسان القويان فيقوم بتنفيذ ما أمره به الساحر ويعد حمارا يحمل عليه جرة الخمر وعنده مروره بجوار الحارسين أخذ يضرب

الحمار بالعصا ليحثه على سرعة المسير فأخطأه فى احدى الضربات وأصابت العصا الجرة فثقبتها وأخذ الخمر ينهمر فأخذ يصيح ويضرب رأسه فأسرع الحارسان كل يحمل أوعيته ليأخذ فيها من الخمر المتدفق حاسبين ذلك غنما وساعداه على انقاذ ما تبقى فى الجرة بعد سد ثقبها وتثبيتها فشكرهما على صنيعهما وطلب منهما تذوق ما حصلا عليه من الخمر المعتق الفاخر الذى كان يود تقديمه كقربان للمعبد .

فأخذا فى تذوقه ثم شرباه بنهم فاذا بالسحر يظهر تأثيره عليهما سريعا وينظر الحارسان الى الجثة المعلقة على الحائط فاذا بها قد تحولت الى تمساح حى ضخم الجسم يضرب الحائط بذيله وأرجله وهو فاغر فاه ويشع الشرر من عينه فأصاب الحارسان الذهول وانتابهما الذعر فتركا مكانهما وهربا طلبا للنجاة .

وقام الأخ بفك رباط جثة أخيه وحملها على الحمار وعاد بها الى البيت حيث كانت أمه فى انتظاره فوضعا الجثة والرأس المقطوع فى تابوت جميل وحملاه الى دار التحنيط .

بعد مرور ايام تم خلالها تحنيط جثة الأخ القتيل ونقلها الى مقبرة أعدت خصيصا لها يذهب الابن فى ظلام الليل ليدخل الخزانة عن طريق الفتحة السرية وهو يحمل على كتفه قدرا مماثلا للقدور الموجودة بالخزانة أعدته له أمه ووضعت به حية من نوع الكوبرا القاتلة وقد طلبت منه أن يضع القدر بما حوى فى مواجهة باب مدخل الخزانة مباشرة حتى اذا فتح الأب القدر كعادته لأخذ بعض محتوياته من أموال ومجوهرات لحملها الى عشيقته الغانية قضت عليه الكوبرا المميتة .

وحذرته أمه من الاقتراب من القدور الأخرى وأخذ الحيطة عند المرور بينها حتى لا يواجه مصير أخيه . ويعود الى القصر قبل طلوع الفجر بعد أن ينجح فى مهمته ويغلق الفجوة السرية بالحائط .

ويدخل الأب الى الخزانة فى الصباح الباكر كعادته قبل سفره للاطمئنان على كنوزه وحمل ما يحتاجه اليه منها فى رحلته الى مدينة سايس . ولما يطول غيابه داخل الخزانة الذى يستمر طوال اليوم بعودة الحارس للاطمئنان عليه فاذا به يجد سيدا ممددا على الأرض جثة هامدة والحية المميتة تحيط بذراعه الذى دسه فى القدر بعد رفع غطائه .

وهكذا نجحت حيلة الأم وتم لها ما أرادت من انتقام لابنها الذى تسبب أبوه فى قتله .

● لقد وردت قصة الاخوان والكنز فى كتاب هيرودوت فى وصف تاريخ مصر سجلها على انها جزء من تاريخ ملوك عصر الأهرامات فنسب القصة إلى الملك (رامسبتيتوس) رمسيس الثالث ابن الملك ست نخت وهما من ملوك الأسرة ٢٠ التى حكمت عام ١١٦٠ ق . م . على أنه والد الملك خوفو صاحب الهرم الأكبر وهو من ملوك الأسرة الرابعة وكان حكمه خلال عام ٢٦٥٠ ق . م أى بفارق فى التاريخ الزمنى بألف وخمسمائة سنة بين الأب وابنه فكان هيرودوت الذى اطلق عليه مؤرخوا الغرب ظلما لقب أبو التاريخ - والذى كان كغيره من مؤرخى اليونان يجهلون اللغة المصرية وكتاباتها الهيروغليفية - قد وقع ضحية التراجمة والكتاب المصريين الذين تعودوا السخرية من الكتاب والمؤرخين الأجانب الذين كانوا يحاولون السطو على التراث المصرى فى علوم المعرفة والأدب ونقله الى بلادهم لينسبوه الى أنفسهم .

بجانب تلك الأخطاء التاريخية الفاحشة فى نقل القصة فقد وضع هيرودوت نهاية ساذجة للقصة تبعدها كل البعد عن احتمال كونها قصة واقعية أو وقائع تاريخية تنسب الى تاريخ مصر فيصب نهاية القصة كما وردت حرفيا فى الفصل ١٢١ من كتابه كما يلى : -

« واستشاط الملك غيظا حينما بلغه بأن جثة اللص قد سرقت وأراد أن يكشف بأية وسيلة شخصية مدبر تلك المكيدة فلجأ الى الحيلة التالية .

وضع الملك ابنته فى ماخور وأمرها أن تستقبل جميع من يفدون اليها على السواء وأن تختبر كل زائر منهم قبل مجامعته اياها ، على أن يقص عليها أبرع وأخبث ما فعل فى حياته حتى اذا روى أحدهم ما حدث بشأن اللص ، فعليها أن تمسك به ولا تسمح له بالخروج . وعندما بدأت الصبية بتنفيذ ما أمرها به أبوها . فكر اللص الذى كان عليما بالسبب الذى من أجله دبرت تلك الخديعة وأراد اثبات أنه يبز الملك فى مكره وخدعه ـ قطع من عند الكتف ذراع جثة شخص مات حديثا . وذهب الى ابنه الملك يحمل الذراع تحت ردائه .

ولما دخل عليها وجهت اليه الأسئلة التى وجهتها لمن سبقوه فأنبأها أن أشنع ما قام به هو قطع رأس أخيه عندما وقع فى شرك فى خزانة الملك وأن أمهر ما أقدم عليه هو فك جثة أخيه المعلقة بعد ما أسكر الحراس فلما سمعت الفتاة ذلك همت بالقبض عليه ، فمد اليها اللص فى الظلام ذراع الجثة فأمسكت بها فترك لها الذراع خفية وهى مطبقة عليها حاسبة انها ممسكة بذراعه وتسلل هاربا .

ولما وصلت هذه الأنباء أيضا الى الملك اندهش لفطنة هذا الرجل وجرأته وذكائه فأرسل فى النهاية الى كافة المدن معلنا أنه اذا جاء الرجل الى حضرته فهو يضمن له حريته ويعده بوعود مغرية . فوثق به اللص وذهب اليه فأعجب به الملك رمسيس أشد الاعجاب وزوجه من ابنته هذه لكونه أبرع الخلق أجمعين .

اذ أنه يبز المصريين كلهم وهؤلاء يبزون سائر البشر فى البراعة » .



● ستنا وكتاب تحوت

ستنا وكتاب تحوت

كان لرمسيس الثانى فرعون مصر ابن يدعى «ستنا» درس الحكمة وعلوم السحر القديم فى المعبد بينما كان اخوته يضيعون وقتهم فى الصيد وقيادة الجيوش . كان ستنا سعيدا بتفرغه لدراسة المخطوطات القديمة وبرديات علوم اسرار الوجود والمعرفة المقدسة التى تحتفظ بها خزائن مكتبات المعابد فتعلم فنون السحر وفك رموزه وطلاسمه .

بينما كان يقلب لفائف البرديات القديمة وجد بردية تمجد ابن احد الفراعنة الكبار والذى سبق عصره بمئات السنين ، يدعى (نفركا بتاح) وصفته البردية بأنه كان اشهر علماء عصره فى علوم السحر ومتون المعرفة المقدسة والتى تغلب بها على جميع كهنة المعابد وسحرتهم وذلك بفضل قراءته لكتاب تحوت الذى امكنه بفضله تسخير السماء والأرض وتعلم بواسطته لغة الطيور والحيوانات واخضاع الكائنات بقوة سحره ، وكشف خلال فك رموزه السرية بأن كتاب تحوت محفوظ فى مقبرة (نفر كابتاح) الملكية بمقابر منف الملكية فلم يهدأ له بال

حتى تتحقق امنيته بالوصول إلى خبيئة ذلك الكنز او الكتاب السحرى المقدس لجأ ستنا الى أخيه الامير «عنحور» الذى اشتهر بين أخوته بـالقوة والشجـاعة الفائقة وقال له ليس هناك من يمكنه مساعدتى للوصول إلى ذلك الكتاب الا انت فالحياة بغيره بالنسبة لى لا قيمة لها .

فرد عليه «عنحور» ساذهب معك واقف بجانبك رغم جميع المخاطر التى تنسب الى اللعنـة التى تصيب من يحاول إلى الاقتـراب من ذلك الكتـاب او الاعتداء عليه .

ذهب الاخوان الى منف ولم يكن من الصعب عليهما الكشف عن مقبرة «نفر كابتاح» ابن امنحتب اول ملك عظيم حكم مصر قبلهما بثلاثمائة عام .

عندما شق ستنا طريقة داخل المقبرة وصل إلى القاعة الوسطى التى استقر بها ناووس «نفر كابتاح» تغطى جثمانه لفافات الكتان وتعلو وجهه رهبة الموت . على أحد جانبى التمثال يقف تمثال «الكا» القرين للأمير وعلى الجـانب تمثال امرأة جميلة وطفل فى بداية سن الشباب ويحمل «نفر كابتاح» على صدره كتاب «تحوت» الذى يبحث عنه ستنا .

فانحنى ستنا باحترام امام تمثالى القرين وتوجه إلى «نفركابتاح» وهو يقول .

«ليحفظ اوزوريس روح الكاتب العظيم ابن فرعون المعظم وليحفظ روحى ومن يحيطان به ويرافقانه فى رحلة العالم الآخر عالم الخلود . . انا ستنا كاهن معبد بتاح وابن رمسيس اعظم ملوك الفراعنة اجمعين ، لقـد اتيت بحثا عن كتاب تحوت الذى كنت تحتفظ به فى حياتك على الأرض وجعل منك اعظم ساحر عرفته ارض مصر عندما فتح لك كتاب «تحوت» ابواب الاسرار المقدسة وسيطرت بفضلها على قوى السحر الأعظم ، ارجو ان تأذن لى بأخذه بسلام حتى لا اضطر إلى أخذه بقوة السحر الذى اتمتع به واوصلتنى إلى معرفة مكانه .

هنا خرج صوت من فم تمثال المرأة الجميلة زوجة «نفر كابتاح» يقول لـه « لا تقرب الكتاب يا ستنا يا ابن فرعون اليوم وحفيد فراعنة الامس . سيسبب لك كتاب تحوت اذ حملته ، من المتاعب والمصائب ما تعرض له «نفر كابتاح» الذى يرقد امامك حاملا الكتاب على صدرة ، ومـا تعرضت لـه انا زوجتـه «احورع» لانى كنت بجانبه ويرقد جثمانى فى كويتوس بالوادى الشرقى من طيبة حيث يرقد بجوارى ابنتا «مرعب» الذى ترى تمثال قرينه بجانبى امامك . ان أجسادنا انا وابنى نرقد فى كويتوس بعيدة عن جسد «نفر كابتاح» ولكن ارواحنا تجتمع فى العالم الآخر .

استمع الى قصتى وقصة «كتاب تحوت » لتأخذ الحـذر وتبعد عنـك لعنة الكتاب التى المت بنا .

كنت انا «ونفر كابتاح» اطفالا لفرعون «امنحتب العظيم» وتبعا لتقاليد وراثة العرش اصبحنا زوجين من اقرب الامراء الى قلب الملك عندما انجبنا طفلنا المحبوب «مرعب» .

لقد تركز اهتمام «نفر كاتباح» من صغرة فى دراسة علوم المعرفة المقدسـة وخاصة علوم السحر واسرار الـوجود المحفـوظة فى بـرديات خـزائن المعابـد وسراديب الاهرامات ومقابر كهنة «سقـر» مدينـة الموتى التى تحيط بنـا هنا فى منف .

فى احد الأيام بينما كان الامير «نفر كاتباح» زوجى المحبوب يجلس فى محراب احد الألهة القدماء وهو يقلب فى البرديات القديمة سمع صوت احد الكهنة وهو يضحك بسخرية ويقول «ان كل ما تقرأه فى تلك المخطوطات عديم الفائدة . سأدلك على مكان الكتاب المقدس الذى كتبه تحوت اله المعرفة بخط يده . وهو

الرسالة المقدسة التى اذا قرأت اول صفحاتها تملك السيطرة على السماء والأرض والجبال والبحار وتسخر بها الأنس والجن وتعرف لغة الطير والحيوان ويمكنك مخاطبة جميع الكائنات والمخلوقات بلغتهم . وفى الصفحات التالية ستقرأ كل ماهو مسطور فى قبة السماء وماتخفيه النجوم من اسرار وما يطويه عالم الغيب بين صفحات الكتاب . وهنا قال « تفر كابتاح » للكاهن بحياه فرعون العظيم ومقدسات الاله بتاح اله المعبد اطلب منى ماتريد ان اقوم بعمله لاجلك ولاجل اله المعبد على ان تدلنى على مكان « كتاب تحوت » فرد عليه الكاهن قائلا

«أولا عليك ان نقدم لى مائة سبيكة من اندر سباتك الذهب الملكى المقدس لمصاحبتى فى العالم الآخر وان يعد لجثمانى قبرا عظيما واشيع اليه كملك عظيم .

قام «نفر كابتاح» بتنفيذ كا ما طلبه الكاهن وعندما تسلم الكاهن السبائك قال له :

«إن كتاب تحوت موجود فى قاع نهر النيل امام مدينة كريتوس وهو محفوظ فى خزانة من الحديد وفى داخل الخزانة صندوق من البرونز وداخل الصندوق البرونزى صندوق آخر من خشب الجميز داخله صندوق من العاج وآخر من الابنوس وفى داخلهما صندوق من الذهب وهو الذى يحفظ بداخله كتاب تحوت . يجب الا تنسى ان الخزانة الحديدية تحيط بها مجموعة من الافاعى والعقارب ويقوم بحراسة الصندوق ثعبان ضخم يلتف حوله ولا سبيل الى التغلب عليه او قتله .

تلقى نفر بتاح تلك الاخبار بفرح عظيم وعاد من المحراب ليخبرنى بذلك البنا العظيم وبكل ما تعلمه من الكاهن فاعترانى خوف خفى شرا تنزله لعنة تحوت علينا إذا حاولنا الاعتداء على مقدساته وقلت له «بحق الالهة» يا نفركابتاح لا تذهب الى كويتوس للبحث عن ذلك الكتاب هناك احساس

خفى ينتابني بان ذلك الكتاب سيجلب الشؤم واللعنة لك ولمن يحبونك .
لقد حاولت ان اثنية عن عزمه بكل وسيلة ولكنه دفعنى جانبا وذهب إلى فرعون والدنا الملكى الذى كان فى انتظاره ليسمع منه اخبار الكاهن وسر كتاب تحوت الذى نفذ القصر كل ما طلبه الكاهن فى مقابل العثور عليه .
لما سمع الملك قصة الصندوق ومكان وجوده سأل ابنه عما يحتاج اليه من مساعدة لتحقيق غايته .

فقال «نفر كابتاح» لوالده امنحتب اريدان تامر خدمك باعداد السفينة الملكية لانى سارحل بها الى جنوب كويتوس ترافقنى زوجتى «احورا» وابنى «مرعب» للبحث عن الكنز المقدس الذى سيعود علينا وعلى عرشك بالخير .

وتكمل ساحورا حديثها «لستنا» وتقول لقد حقق لنا فرعون العظيم جميع رغباتنا فغادرنا منف على ظهر السفينة الملكية وهى تتهادى على صفحة النيل حتى رست بنا بالقرب من معبد ايزيس على شاطىء كويتوس فخرج لاستقبالنا كهنه وكاهنات المعبد واحتفوا فى قاعة الاعمدة بمعبد ايزيس حيث قدم «نفر كاتباح» من القرابين التى احضرها معه ثور اكبيرا واوزا وقدم لهم اوان ملاى بافخر الخمور الملكية الخاصة ثمأقـام لنا كهنة المعبد وزوجاتهم وليمة فخمة فى قصر رئيس الكهنة الذى يطل على نهر النيل حيث اضاءت المشاعل حديقة القصر الساحرة ونافورات مياهه المتدفقة طوال الليل حيث عزف موسيقيوا المعبد بمصاحبه غناء المغنيات ورقصت الراقصات حول بحيرة اللوتس واستمرت حفلات الاحتفاء بزيارتنا اربعة ايام بلياليها وفى فجر اليوم الخامس تركنا «نفر كابتاح» انا وابننا مرعب فى شرفة القصر التى تطل على النهر لمشاهدته وهو ذاهب إلى النهر بصحبة من اختارهم لمرافقته من رجال المعبد وحرسه الاشداء .

وقام هو واقف على الشاطىء بممارسة اعماله السحرية الخارقة امام كهنة المعبد وإذا بغرفة سحرية تطفو على سطح الماء لتحمل رجالة ومعداتهم وملأ السفينة الملكية بالرمال واتجه بها إلى المكان الذى غاضت به الغرفة وعندما اصبح فوقها تماما بدأ يتلو تعاويذه السحرية وهو ينادى بان الاله سيهبهم الحياة والقوة ويرشدهم الى موقع الكتاب المقدس واستمر العمال فى البحث والتنقيب فى قاع النهر بعزيمة وصبر طوال النهار والليل .

فى اليوم الثالث وصلوا إلى المكان الذى تستكين به الخزانة التى تحوى كتاب تحوت . فافرغ «نفر كابتاح» الرمال فوق الخزانة واخذ العمال فى رفع الخزانة فوق تل الرمال الذى استمر فى العلو حتى ظهرت على سطح الماء تحيط بها العقارب وحبات الماء ويلتف حولها الثعبان الضخم الذى لا يموت كما وصفه الكاهن واطلق نفر بتاح صيحة مرعبة اتبعها بتعاويذ سحرية غامضة لم تلبث ان شلت حركة الحياه فيما يحيط بالخزانة من عقارب وحبات حولتها جميعها الى تماثيل لا حياة فيها وسار «نفر كابتاح» حتى وصل إلى الخزانة التى يلتف حولها الثعبان الضخم الذى لم تؤثر فيه التعاويذ السحرية ولما اقترب منه تحفز الثعبان للهجوم واخذ ينفذ اللهب من فمه فسحب نفربتاح سيفه وعاجله بضربة قوية خاطفة فصلت رأسه عن جسده ولكن الرأس تقفز بحركة سريعة لتعود إلى مكانها وتلتصق بالجسد ويعاود الثعبان استعداده للمعركة وتتكرر عملية فصل رأس الثعبان وعودتها الى مكان الجسم والالتصاق به رغم انه فى المرة الاخيرة قذف بالرأس المفصولة بعيدا فى النهر لكنها سرعان ما عادت لتلتصق بالجسم الضخم الذى يلتف حول الخزانة وعاودت الرأس تنفث اللهب كلما حاول احد الاقتراب من الخزانة .

وعندما استخار «نفر كابتاح» الهة معبد ايزيس ربه المعبد الذى كانت زوجته

«ساحورا» تتعبد فى محرابه وتدعو الالهة ان تنقذه من شياطين الشر فاوعزت اليه الالهة ان يتغلب على الثعبان بالحيلة التى تشير بها عليه فقام بفصل رأس الثعبان مرة أخرى بضربة قوية القتها بعيدا عن جسمه الملتف حول الخزانة الحديدية ثم امر رجاله بتغطية كل من الرأس المفصولة عن الجسد والجسد الملتف حول الخزانة باكوام كثيفة من الرمال مع رفع حاجز آخر من الرمال يفصل بينهما وهكذا اصبح الثعبان الحارس عاجزا عن الحركة وهو منفصل الى جزأين .

واسرع «نفر كابتاج» إلى حيث ترقد الخزانة الحديدة على الشاطىء وسارع بفتحها ليكتشف بداخلها الصندوق البرونزى الذى وصفه الكاهن وبداخله مجموعة الصناديق الاخرى حتى وصل إلى الصندوق الذهبى الاخير الذى حفظ بداخله «كتاب تحوت»

ويسرع بفتح الكتاب فقرأ فى صفحته الاولى القوى التى سيمدها به الكتاب للسيطرة على السموات والارض وتسخير الكائنات والانس والجن لتنفيذ رغباته واوامره ويتعلم بواسطته لغة الطيور والحيوانات وفى الصفحة الثانية كلمات السحر التى يمكنه بها ان يخاطب قبة السماء والشمس والقمر والنجوم ويرى الالهة انفسهم وكل ما هو غير مرئى للبشر وهكذا تأكد له ان كلمات الكاهن كانت صادقة . وانه اصبح مالكاً لكتاب تحوت وانه اصبح بفضل ما يحمله الكتاب من اسرار اصبح يحتل مرئية اعلا من الكهنة والبشر وفرعون نفسه حيث سينقله الكتاب الى مصاف الالهة والقديسين ولكى يتأكد انه اصبح مالكا لكتاب تحوت وممتعا بقوة السحرية استعمل قواه التى اكتسبها وهو ينادى رجاله الذين يعملون بقوة سحرة بقوله ، ايها الاعوان اعملوا لاجلى وعودوا بى إلى المكان الذى اتيت به . فإذا بى افاجأ بوقوفه امامى حيث كنت فى انتظاره فى الشرفة لم أحس بمرور الأيام ولم اتناول اى طعام اوشراب من فرط اللهفة وكنت كما قالوا لى انى كنت كمن ينتظر فى القبر .

عندما اتى «نفر بتاح» اخرج كتاب تحوت ووضعه بين يدى وطلب منى ان اتصفحه فبعد ما قرأت ما حوته الصفحة الاولى احسست بانه اتتنى القوى التى اسيطر بها السماوات والأرض واعمدة اركان المعمورة واستمعت الى الطيور والحيوانات بل والحشرات الموجودة بالحديقة . فاكتشفت اننى اصبحت اعرف لغتها وافهم كل ما تقول وعندما تصفحت الصفحة الثانية شاهدت الشمس والقمر والنجوم فى غيابها ورأيت ما تحيط بها او يسكنها من كائنات وملائكة والهة ومعبودات رأيتهم عن قرب كأنى اعيش بينهم .

واحضر ««نفر كاتباح» صحيفة نظيفة من البردى كتب عليها كل كلمات السحر الموجودة بكتاب تحوت بعد ان قلب صفحاته جميعها ثم أحضر اناءا مملوء بالجعة وضع ورقة البردى بداخله وتركها حتى ذابت الكلمات ومحيت حروفها ثم افرغ اناء الجعة فى جوفة عن أخرة حتى تختلط قوى السحر فى كيانه . ولما كنت لا أجيد الكتابة فلم تحتفظ ذاكرتى الا بالقليل من تلك الكلمات والتعاويذ العديدة والمعقدة التى كان يطلب منى ان احفظها .

انتقلنا بعد ذلك إلى السفينة الملكية التى اقلعت بنا فى طريقها إلى منف ولم تكد السفينة تبتعد عن شاطىء كويتوس حتى فوجئنا بقوة عجيبة وخفية تجذب ولدنا «مُرعب» من فوق سطح السفينة لتختفى به فى قاع النهر الثائر فاسرع زوجى الى كتاب تحوت وقلب صفحاته حتى وجد الكلمات السحرية اللازمة التى عندما رددتها طفت جثة الطفل على سطح الماء الذى عاد إليه الهدوء فحملناه الى سطح السفينة ولكن كل ما وجد فى الكتاب من تعاويذ وكلمات سحرية لم تتمكن من اعادة الحياة الى «مرعب»

وتمكن «نفركابتاح» بفضل علومه السحرية من تحضير روح (الكا) مرعب ليعرف اسرار ما حدث له .

فقالت روح الطفل ان تحوت العظيم عندما علم ان «نفر كابتاح» ابن فرعون قد اكتشف مخبأ كتابه المقدس وسرقه بعد ان قتل حراسه اذن له الاله الاكبر امون رع ان يتصرف مع «نفركابتاح» بما يرضيه ويرد للكتاب اعتباره وقال له الاله ساعطيك القوى التى بها اللعنة عليه وعلى زوجته وابنه وكل من انتهك او سينتهك حرمة كتابك المقدس فكانت اول قوى اللعنة التى استعملها تحوت هى التى جذبنى من سطح السفينة إلى قاع النهر حيث فقدت الحياة .

وتصف «احوراً» كيف نقلت جثة ابنها الحبيب الى كويتوس حيث تمت مراسيم تحنيط جثته فى معبد ايزيس واعد له قبر ملكى نقل اليه فى احتفال مهيب اشترك فيه جميع كهنه وكاهنات المعبد .

وقال «نفر كابتاح» لنسرع الآن بالعودة إلى منف لنقل خبر ما حدث لجلالة فرعون العظيم وانى واثق انه بقدر حزنه وثقل قلبه على «مرعب» الذى كان احب اطفال العائلة المالكة اليه فسيعوض حزنه رؤ يته لكتاب تحوت المقدس الذى اتيت به اليه .

وهكذا بحرت بنا السفينة الملكية مرة اخرى فى طريق العودة وكان الجو صحوا والسماء صافية حتى وصلنا الى المكان الذى سقط فيه «مرعب» فى الماء . فإذا بقوة غامضة وخفية تخرجنى من غرفتى وتسحبنى الى سطح السفينة لتلقى بى فى النهر ويجذبنى الى قاعة فى نفس المكان الذى سقط فيه ابننا مرعب . واستعمل زوجى «نفركابتاح» قواه السحرية لتطفو جثتى على سطح ماء النهر بعد هدوئه . كما خاطب روحى بنفس الطريقة التى خاطب بها روح مرعب فاخبرته بكل ما حدث وطلبت منه ان أدفن بجوار ابنى مرعب فى مقبرة كويتوس بدلا من المدافن الملكية بمنف .

بعد ما اغلق «نفر كابتاح» القبرا بحر وحيدا بالسفينة فى طريقة الى منف

وقلبه ملىء بالاحزان . ولما بلغ فرعون اخبار اللعنة التى اصابت كل من ابنته «احورا» وحفيده مرعب خرج مع رجال حاشيته لاستقبال ابنه الامير «نفر كابتاح» ليتخفف عنه احزانه .

عندما رسا اليخت الملكى عند شاطىء القصر صعد فرعون ومعه كبار رجال القصر والامراء ودخل قاعة الاستقبال فوجد «نفر كابتاح» جالسا فى صدر القاعة وهو يضم الكتاب على صدره . . وقد فارق الحياة . فعم الحداد فى جميع انحاء المملكة وشيعت جنازته الى القبر الملكى الذى كان فرعون قد اعده لنفسه . وامر فرعون ان يحتفظ «نفر كابتاح» بكتاب تحوت الذى يوضع على صدر الموميا فى الوضع الذى كان عليه عندما وصل على السفينة محتفظا بالكتاب على صدره كما امر الملك ان يوضع على جانبى الموميا تمثالين احدهما لزوجته «احورا» والاخر لابنه «مرعب» لتحل فيها (الكا) الخاصة بروح كل منهما لرعايته ومصاحبته فى رحلة العالم الآخر .

وتكمل روح «احور» الحديث للساحر ستنا

وهى تقول «الآن وقد اخبرتك بكل المصائب التى حلت بنا بسبب لعنة كتاب تحوت لاننا اخذنا كتابه المقدس واطلعنا على ما به من اسرار حرم على البشر الاطلاع عليها . فالكتاب الذى اتيت للاستيلاء عليه وتطلب منا تسليمه لك فإنى احذرك من اخذه او حتى الاطلاع حتى لا تصبح حياتك على الارض ثمن لمغامرتك بل ستنزل اللعنة عليك وعلى كل من يشترك معك فى الاطلاع عليه كما حدث «لنفر كابتاح» الذى يرقد امامك حاملا الكتاب على صدره ولم ينخ انا وابنى من اللعنة التى اودت بحياتنا ويجلس تمثالينا بجواره لرعايته

عندما استمع ستنا الى القصة باكملها من احورا التى ينتصب تمثالها امامه

اصلاً قلبه رعبا ولكن لهفته ورغبته فى الحصول على الكتاب كانت اقوى من خوفه من اللعنة التى تصاحبه .

فخطف «ستنا» كتاب تحوت من فوق صدر «نفر كاتباح» وهرب بصحبة اخيه «عنحور» من المقبرة . وهنا سمعا (كا) احورا وهى تصرخ «لقد ضاعت قوى السحر لمن يرقد فى القبر وإذا بروح «نفركابتاح» ترد عليها «لا تحزنى فساجبر ستنا على ان يعود بكتاب تحوت وسيأتى ذليلاً الى قبرى مستنجد بسحرى لرفع أللعنة التى ستلحق به وبمن يحب ولن ترده عنها الكلمات التى سيتعلمها من الكتاب وسيلقى وهو يحتفظ بالكتاب ما لقيناه من مصير ولم ننج من لعنة صاحب الكتاب .

وما كاد ستنا وعنحور يغادروا القبر حتى انغلق بابه خلفهما وبدا وكأنه لم يفتح ابدا . وعندما وقف ستنا امام والده رمسيس العظيم وشرح له مغامراته فى الحصول على الكتاب وقص عليه ما سمعة عن «نفر كابتاح» من روح زوجته «احورا» قال له «يا ولدى ان خير نصيحة اقدمها لك كرجل حكمه وصدق هى ان تعود الى قبر «نفر كابتاح» وتعيد وضع الكتاب الى مكانه على صدره وتطلب من روحه ان تسامحك وتعفو عنك حتى لا تصيبك انت وعائلتك اللعنة التى اصابت «نفر كابتاح» واحورا وابنهما مرعب .

لكن ستنا لم يستمع الى نصيحة رمسيس فبدلا من العمل بها حمل الكتاب الى قصره وقضى وقته فى قراءته وعمل ما كان يقوم به «نفر كابتاح» وكما سمعه من روح «احورا» من كتابة تعاويذ الكتاب السحرية على ورق البردى ووضعه فى أناء مملوء بالخمر وتركه حت تذوب الكلمات فى الخمر فيشربها حتى نتمكن منها نفسه وعقله . وكثيرا ماكان ياخذ الكتاب معه إلى معبد يتاح حيث يعتكف على دراسة مابه من اسرار الحكمه المقدسه .

فى احد الايام بينما هو جالس كعادته فى بهو قاعة الاعمده بالمعبد جذب نظره

حورية تتهادى بين الأعمدة كأجمل ماشاهدته عيناه وكانت تسير بعظمة وخيلاء وخطاها تكاد الاتلمس الارض - دخلت المعبد من بابه الخلفى حيث قدس الاقداس تسير وبصحبتها خمس وخمسون فتاة .

بينما كان ستنا يتطلع إلى تلك الحورية وهو مأخوذ بجمالها الساحر وردائها السماوى وحزام حصرها الذهبى وغطاء رأسها المرصع بالاحجار الكريمه بالونها الجذابه الذى يشبه تاج الملائكة التى شهدها فى نقوش المعابد وهى تنحنى فى وقار امام تمثال الاله يتاح وعرف من وصيفاتها ان اسمها (تابو . بوا) وانها ابنة الكاهن الاكبر لمعبد القطة المقدسه باستت وانها انت من مدينة يوباسطه فى الشمال الشرقى لمدينة منف وكانت باسنت الزوجة الالهية للاله يتاح معبود منف . لم يكاد نظر ستنايقع على (تابو بوا) وكأن حتحورربة الحب والجمال قد اصابت قلبه بسهام سحرها فنسى كل شىء حتى كتاب تحوت الذى كان لايفارقه ومركز قوىّ سحره على ان يخطى بحبها . فلم تذهب مجهوداته سدى فلم يكد يبعث اليها برسالة حتى جاءه ردها الفورى بانها ترغب فى لقائه وترحب بذلك اذا ذهب اليها سرا لتنعم بزيارته واستقباله فى قصرها الموجود خارج مدينة بوباسطة . عندما اشرقت شمس الصباح اسرع ستنا بالذهب إلى بوباسطة وعلى مرمى البصر فى الصحراءالتى تظل المدينه على اطرافها شاهد ايوانا عظيما يتوسط حديقه غناء تحيط بها اسوار عالية .

لما وصل إلى بوابة القصر المنيعة نادى عليها بقوة السحر انفرجت البوابه على مصراعيها وانغلقت وحدها خلفه بعد دخوله . فشق طريقه وسط اشجار الحديقة وازهارها اليانعة وبرك زهور اللوتس بطيورها المغردة فشعربانه يسير فى الجنة التى وصفها الكتاب المقدس واذا به يفاجأ بوقوفها على باب الايوان كحورية من حوريات الجنة وتستقبله « تابو بوا » باحب كلمات الترحيب .

وقادته إلى قاعة الاستقبال التى تكسو حوائطها الواح المرمر الوردى وسقفها الذى يصور قبة السماء . وقدمت له احب انواع الخمر إلى قلبه فى كؤوس من الذهب . وعندما لعبت الخمر برأسهه انطلق لسانة معبرا عن حبة لها الذى لا يمكنه التخلص من اسره . فقالت له ليسعد الله قلبك ايها الامير العظيم لانه مقسوم على ان اكون زوجتك ولكن تذكر أنى لست امرأة عادية فانى ابنة المعبودة« بوست » الجميلة وانى لاأقبل ان تكون لى ضرة تشاركنى حياتك فقبل ان يربطنى بك الرباط المقدس يجب ان تكتب لى وثقه طلاقك من زوجتك . واكتب ايضا اقدم اطفالى قربانا على مذبح المعبودة « بوست » وتلقى بهم لقططها المقدسة ـ لانى لا اتحمل ان اراهم يكبرون ويدبرون مؤامره الشر لقتل ابنائنا المقدسين .

فصاح ستنا تحت تاثير سحرها بقوله : لك ما تريدين ايتها القديسة الجميلة

فقدمت له ملف البردى وقلم الغاب ليسجل عليه بان «تابوبوا» زوجته الملكية الشرعية لها الحق فى طرد زوجته الاولى من القصر وحرمانها من جميع حقوقها وتقديم اولادها قربانا للمعبودة يا ستت لا طعام قططها المقدسة .

بعد ما حرر ستنا الوثيقة على ملف البردى ووقعها بالخاتم الملكى الذى يحمله قدمت له الكاس الذهبى مرة اخرى ووقفت امامه بكل سحرها وجمالها وضمته الى صدرها وهى تهمس فى اذنه باحلى اغانى الحب بصوتها الملائكى الساحر . وبينما هما غارقان فى نشوة الغرام اذابة يسمع صراخا تحمله رياح الجنوب عبر البستان سرعان ما تعرف منه على صوت اطفاله وهم يموتون الواحد بعد الآخر على مذبح المحراب ويناديه كل واحد منهم باسمه .

فافرغ ستنا بقية الكاس الذهبى فى جوفه والتفت إلى تابوبوا وهو يقول : «لقد خرجت زوجتى من القصر خالية الوفاض لا تملك شيئا واراها تهيم على

وجهها فى المدينة وهى تتسول واولادى يرقدون خلف حوائط المعبد وليس لى فى هذه الحياة غيرك وساهبك كل ما املك تعالى إلى يا حبيبتى» .

فاقبلت «تابوبوا» عليه مادة ذراعيها وقد بـدت اروع جمالا من حـوريات حتحور الهة الحب والجمال .

وبصرخة ملؤ ها الرغبة ضمها ستنا إلى صدره . ولم يكد يا خدها فى احضانه تغيرت فجأة واذا بها تختفى من الوجود واذا به يحتضن خيالا بلا روح او جسد . فصرخ ستنا رعبا واذا بالظلام يغمر المكـان وإذا بالمقصـورة تتقوض اركـانها وعندما استرد حواسه وانفاسه وجد نفسه يرقد عاريا فى الصحراء على جانب الطريق المؤدى من بوباسطة الى منف ولا يرى اثرا للقصر وحدائقه واسواره .

والتف حوله المارة يسخرون منه على أنه سكير مستهتر الى ان رآه شيخ كبير فستره بمعطف قديم كان يحمله وسار بهذا المعطف الى منف كاحد المتسولـين الفقراء . عندما وصل إلى قصره الخاص لم يتعرف عليه احد عند دخوله وسأل عن زوجته واولاده فوجدهم احياءا وبصحة جيدة ، ولم يكن فى تفكيـره من شىء سوى اعادة كتاب تحوت الى مكانه فوق صدر الساحر «نفركابتاح» .

فحمل ستنا كتاب تحوت وذهب به إلى ابيه رمسيس «ان ما حذرتـك منه «احورا» زوجة «نفيركابتاح» قدر لك ان تراه بعين سحرك فقد اخذت من هذه الرؤ يا المقدسة التى شاهدتها فى ساحة المعبد وصحراء بوباسطة درسا لما كنت ستتعرض له من أخطار'اذا احتفظت بالكتاب ولم ترده . عليك الآن ان تسرع بحمل الكتاب الى المقبرة حاملا معك الصولجان والشعلة المقدسة التى تفتح لك الطريق وتحميك من الشر عمل ستنا بنصيحة والده رمسيس وعندما اقترب من المقبرة وقبل ان ينطق بكلمات قوى السحر التى تعلمها انفتح باب المقبرة من نفسه فاخترق ستنا الممر الموصل الى قاعة الدفن فوجد «نفركابتاح» يرقـد فى

ناووسه وتظهر على وجهه علامات الراحة الابدية وعلى جانبى المـوميا تمثـالى (الكا) لاحورا ومرعب .

هنا نطقت كاحورا بصوت ملؤه الطمأنينة والحنان «حقا يا ولدى انه الاله بتاح الاله العظيم هو الذى انقذك من لعنة تحوت وسهل لك الطريق لتتمكن من العوده الى هنا وكنا دائما فى انتظار عودتك المؤكدة» .

ثم ارتفعت (كا) «نفر بتاح» من جسده وهو يضحك ويقول «لقد قلت لك انك ستعود بمذلة وخضوع حاملا كتاب تحوت ، ضعه الآن فى مكـانه فـوق صدرى حيث كان يرقد من عشرات السنين ولكن لا تظن انك الآن قد تحررت من لعنة الكتاب وشر انتقامى» .

فانحنى ستنا امام نفر كابتاح وهو يقول يا سيد السحر العظيم ما عليك الا ان تامرنى وانا مستعد لان انفذ ما تطلبه وان اعمل ما هو ليس فى قدره انسان آخر ان يعمله حتى لا يحل على انتقامك الذى لمسته فى كابوس «تابوبوا» الذى سلطته على .

فقال له «نفر كابتاح» مهمة بسيطة سأطلب منك القيام بها . انت تعلم ان جسدى يرقد هنا فى منف وجسدى احورا ومرعب» يرقدان بعيدا عنى فى قبرهما بمدينة كويتوس . فما اطلبه منك ان تقوم بنقلهما ليكونا بجانبى ونسكن معا فى قبو واحد الى يوم البعث ولقاء اوزوريس .

خرج ستنا من المقبرة ليذهب الى قصر رمسيس مباشرة ويطلب منه استعمال السفينة الملكية لاداء مهمته المقدسة التى كان لرمسيس نفسه الفضل فى تحقيقها عندما امره ان يعيد الكتاب الى صاحبه فاصدر فرعون امره بان توضع السفينة الملكية تحت امر الامير «ستنا» مع كل من يحتاج اليهم لمرافقته من حرسه الخاص ورجال الحاشية وكهنة معبد منف ، ويحمل السفينة بالقرابين والهدايا النفيسة

التى عليه ان يقدمها الكهنة وكاهنات معبد ايزيس فى كويتوس الذين تعهدوا برعاية قبرا حورا وابنها مرعب والذى اشرف كهنة المعبد فى ذلك الوقت على اعداده واختيار موقعة السرى الذى لا يعرف احدا مكانه سوى الكاهن الاكبر لمعبد ايزيس والذى انتقل إلى جوار الالهة والقديسين من زمن طويل ولم يدل بسر مكانه الى أحد من رجال المعبد .

عندما وصل ستنا بالسفينة الملكية الى كويتوس قام بزيارة معبد ايزيس حيث أقيمت الاحتفالات الرسمية لأستقبال الضيف الملكى الذى قدم فيه ستنا القرابين العظيمة لمعبد ايزيس والهدايا الملكية الثمينة لكهنة وكاهنات المعبد ـ وفى نهاية الحفل طلب ستنا من كهنة المعبد ان يدلوه على مكان مقبرة احورا ومرعب حاول الكاهن الاكبر وابناء اسرار المعبد البحث فى سجلات المعبد ووثائقه القديمة فلم يتوصلوا الى أى دليل يرشدهم الى موقع ذلك القبر الذى اقيم بصفة سرية لأنه من المقابر الملكية التى يحاط اختيار اماكنها بالسرية حتى لا تعبث بها ايادى الطامعين .

ولما يئس ستنا من بلوغ هدفه تقدم بعرض جائزة كبيرة لمن يرشده الى موقع المقبرة .

قبل ان يفكر فى الاعلان عن الجائزة اذا بشيخ عجوز يهرول نحو المجتمعين فى ساحة المعبد ويشير الى ستنا بعصاه وهو يقول «ان كنت انت ستنا الساحر العظيم قد جئت لتبحث عن مكان المقبرة التى امر امنحتب الثانى ببنائها ليستقر فيها جثمان زوجة ابنه احورا وابنها مرعب فقد سمعت قصتهما ولعنه تحوت التى حلت بهم جميعا فقد قصها على ابى وكان وقتها فى نفس المكان لأنه شاهد الحادث عندما كان طفلا وكان جدى هو الذى اشرف على اعداد قبرهما والقيام بمراسم الدفن بنفسه فى موقع اختاره فى حضن الجبل الغربى لمدينة كويتوس وقد رافق

والدى والده الى مكان المقبرة عند نقل موميا احورا لتدفن بجوار ابنها . وقد اعدلهم زوجها «نفر كابتاح» بن الملك امنحوتب الثانى احتفالا ملكيا خاصا واشرف بنفسه على تحنيط جثتيهما .

يحكى ابى انه ما ان طلع الفجر عصفت ريح عاتية اهتز بها كيان الجبل ولم تهدأ الا وقد اختفت المقبرة وموقعها تحت زحف طوفان كثبان الرمال .

فسار الشيخ العجوز وهو يتوكا على عصاه يتبعه ستنا ورجاله حتى وصل إلى اطراف كويتوس بالقرب من الجبل الغربى حيث قادهم العجوز الى بيت مهجور يقع فى حصن الجبل الغربى وقال موجها كلامه الى ستنا وقال له «عليك ان تهدم هذا البيت فالمقبرة التى تبحث عنها تخفيها ارض جدرانه . فامر ستنا رجاله بالعمل على هدم البيت ومباشرة الحفر أسفله تبعا لارشادات الشيخ العجوز . بعد عمل شاق استمر طوال الليل انكشف لهم مدخل المقبرة المحفورة فى الصخر وترقد بداخلها جثتى احورا ومرعب . وعندما شاهدهما الشيخ العجوز رفع ساعديه نحو السماء على شكل علامة (الكا) وصرخ صرخة عالية ثم اختفى فجأة عن الأنظار بين دهشة وذهول «ستنا» والموجودين .

فعرف ان «كا» روح «نفر كابتاح» هى التى تجسدت شكل الدليل العجوز لتدلهم على مكان المقبرة ـ التى كان كهنة المعبد يعرفون مكانها ولكنهم احتفظوا بالسر حتى لا يغضبوا الهة المعبد اذا اقلقوا راحة الموتى الذين تقوم المعبوده ايزيس بحماية ارواحهم .

قام ستنا بنقل جثتى كل من احورا ومرعب فى احتفال مهيب يليق بابناء امنحتب العظيم وحملتهما السفينة الملكية من معبد ايزيس فى كويتوس الى منف حيث كان فى استقبالهما فى معبد «بتاح» رمسيس الاكبر بنفسه يحيط به كبار كهنة المعبد ورجال الحاشية .

ورافق ستنا الركب الجنائزى الى مقابر سقاره الملكية حيث قام بنفسه بوضع جثتى كل من احورا ومرعب على جانبى ناووس «نفر كابتاح» الذى كان يحتضن كتاب تحوت فوق صدره وتظهر على وجهه علامات الرضا والراحة الابدية .

لم يكد «ستنا» ينتهى من ترديد كلماته السحرية التى حفظها من كتاب تحوت حتى انغلق الباب الصخرى للمقبرة من نفسه ويلمح ستنا نقشا محفورا فى الحجر على عقد الباب ينذر من يعتدى على حرمة القبر واقلاق راحة سكانه ان تحل عليه لعنة كتاب تحوت الى يوم البعث . ولم ينتهى ستنا من قراءه ذلك النقش المحفور على باب المقبرة حتى اختفى الباب من الوجود واختفت معه اثار المقبرة نفسها وكأنها نقلت من مكانها ، وإذا بعاصفة تهب بقوة تعقبها موجات من رمال الصحراء تغمر المكان وتزيل اثار اقدام الكهنة والمشيعين ، ويصل إلى اذان ستنا صوت «نفر كابتاح» تحمله الريح موقع اختفاء المقبرة وهو يقول :

لقد اختفت المقبرة بامر تحوت ولن تصل إليها البشر الى يوم البعث .



الساحر تيتا والهرم الاكبر

TETA

عندما طلب الملك خوفو من مهندسة حيامون HEMON بناء الهرم الاكبر ليكون صرحا للآله ورمزا خالدا يتحدى الزمن ويحفظ تراث ملكه . وكان حيامون مهندسا من أهل المعرفة المقدسة التى ورثها عن جده ايمحوتب العظيم مهندس الأهرامات وأول من بنى بالحجر الذى بنى به هرم زورسر المدرج (سلم الصعود الى الآله) قبل مائة عام من الشروع فى بناء الهرم الأكبر الذى طالب خوفو ببنائه .

اتى العمال والفلاحون من جميع انحاء الوادى حيث تطوعوا للمساهمة فى العمل المقدس الذى يعتبر بمثابة قدس الأقداس للآله ورب الأرباب واحياء عبادة الآله الواحد الذى ناد به اوزوريس ومن بعده ايمحوتب العظيم الذى جعل من الشكل الهرمى رمز للآله بقاعدة الهرم المربعة التى تمثل اركان المعمورة الأربعة وواجهاته المثلثه التى تتجه قمتها الى السماء لتمثل القوى الألهية الثلاثية .

كان العمال والفلاحون يعملون فى بناء الهرم فى موسم الفيضان حيث تتوقف أعمال الزراعة وتتحول ساحة الأهرام الى عيد قومى يشترك فيه الآف العاملين وعائلاتهم يعملون طوال شهور الفيضان الثلاثة فى بينما كان الملك خوفو يجلس على عرشه فى قاعة الحكم لاستقبال رجال حاشيته اذا بابنه الامير « حورددف » يخترق الصفوف وينحنى بين يدى والده ويقول « يا فرعون مصر العظيم ليهبك الآله الحياة والقوة والصحة لقد اسرالى تحوت رسول الآله العظيم ورب لمعرفة المقدسة وأنا اتعبر فى محراب القصر . . اسرالى بان ما يطلبه الملك موجود عند اكبر ساحر فى أرض مصر المقدسة أسمه « تيتا » يقيم فى ميدوم بالقرب من الهرم الذى بناه والدك الملك سنفرو وليس هناك من يتفوق على سحره فى مصر كلها . وقد بلغ من العمر عشر سنين فوق المائه . وكان يبلغ من العمر عشر سنين عندما شاهد بناء أول هرم يرتفع فى سماء مصر يقوم ببنائه الساحر العظيم ايمحوتب المقدس للملك زوسر وهو الهرم المدرج بدرجات صعود الى عرش الآله فى السماء .

وما بلغه عن ذلك الساحر انه فى هذا السن المتقدم كانت له قوة خارقة . كان يأكل كل يوم خمسمائة قرص من الخبز وفخد عجل ويشرب مائه كاس من الجعة .

كانت له القدرات السحرية التى تمكنه من يعيد الرأس الى الجسم بعد فصلها ويعيد الحياة الى صاحبها . ان قوة سحره تجعل الأسد المتوحش يتبعه كالكلب الأليف نقل الاحجار وصقلها والمشاركة فى بناء صرح الآله العظيم .

وقف حيامون عاجزا عن تنفيذ وتحقيق ما طلبه منه الملك خوفو لافتقاره فى الوصول الى بردية القوى الخفية التى قيل أن « ايمحوتب العظيم » كتب عليها تعاويذ القوى السحرية اى تسخر ما وراء الطبيعة على نقل الكتل الضخمة من

الاحجار من أطراف الوادى ، ورفعها الى قمة المبنى الهرمى بغير جهد أو مجهود بشرى . وتتحدى تعاويذه السحرية قوى أسلحة « ست » آله الشر من زلزال وصواعق تحاول منع صرح الآله من تحدى الزمن وبقائه قائما .

لم يتمكن « حيامون » بالتجائه الى الكاهن الأكبر وسحره معبد منف من التوصل الى مكان بردية كلمات القوى السحرية لايمحوتب. فارسل الملك خوفو رسلا لكهنة جميع المعابد من الشلالات والنوبة فى أقصى الجنوب الى تانيس فى أقصى الشمال ليبحثو بين مقدسات المعابد وما تحتفظ به خزائنهم السرية من برديات السحر القديم ووعد الملك خوفو بتقديم مكافأة مجزية لمن يتوصل الى معرفة مكان تلك البردية أو اسرار مضمون قواها الخفية ـ التى يتوقف بناء الهرم الأكبر صرح الآله على وجوده . وقد حاول سحرة طيبة وابيدوس وهليبولويس عرض مساعدتهم ولكن سحرهم فشل فى معرفة مخبأ تلك البردية .

ونظرة منه إلى الأفعى الكاسرة (الكوبرا) تحولها الى تمثال حجرى لا حياة فيه . وكان يفهم لغة الطير والحيوانات التى تاتمر باوامره . وبعصاه السحرية يوقف جريان الماء فى الجدول ويأمر تيار الماء ليتجه من المصب الى المنبع .

لقد حلف باسم الآله بتاح والمعبود تحوت بانه قادر على الاستدلال على مكان بردية ايمحوتب وتعاويذها المقدسة التى تحوى الكلمات السحرية التى عندما ينطق بها حاملها تمده بالقوى وتكشف له النقاب عن أسرار طرق بناء الاهرام ووسائل التغلب على ما يعترض الانشاء من معوقات ومصاعب وتزويد حاملها بالمناعة ضد اسلحة الشر التى يحملها « ست » والتى تعمل على تخريب دور الموتى أن لم تكن محصنه .

لقد سر خوفو لتلك الانباء التى حملها اليه ابنه « حورددف » فباركه وقال له يا حورددف اذهب اليه بنفسك وخذ معك محفة ملكية وعدد كبيرا من الحاشية والحرس والاتباع احضر تيتا العظيم الى قصرنا فى منف باسرع ما يمكن . عامله كضيف عظيم تتشرف بوجوده ضيافة ملك البلاد .

اذهب اليه فى سفينتى المكية حتى تنقله عليها بغير عناء أو مشقة الى عاصمة ملكنا « منف » التى سنقيم على أرضها المقدسة الهرم الأكبر قدس مقـدسات الآله العظيم . هكذا ابحر « حورددف » من منف على السفينة الملكية حاملا معه كل ما يحتاج اليه فى رحلته وما يحتاج اليه فى طريق العودة بضيفه الساحر العظيم . وسارت السفينة عبر النهرمارة بسقارة (سقر) واهرام دهشور حتى وصلت الى هرم ميدوم الذي بناه الملك سنفرو .

فالقت السفينة مراسيها وسار « حورددف » واتباعه فى الطريق المرصـوف الذى يصل الهرم بمعبد الشاطىء وانتقل الى خلف الهرم حتى بلغ القرية التى يسكنها « تيتا » الساحر .

فوجد العجوز يتكىء على اريكة من خشب النخيل فى ظل حائط مسكنه بينما يقوم خدمه بتهوية المكان بمراوحهم الضخمة المزودة بريش النعام ويدلكذ راسه واقدامه بالزيت المعطر .

تقدم حورددف بطقوس الاحترام ليحيى الساحر تيتا بقوله « تحيات تليق بمكانك السامى ومكانتك المقدسة ليعطيك الآله الصحةوطول العمـر ويبعد عنك غرر الشيخوخة وأثارها ويمتعك بالشباب الدائم بالصحة والرفاهية » .

لقد اتيت اليك برسالة من والدى خوفو له الحياة والصحة والقوة والحكمة الخالدة . الذى يدعوك لزيارته فى منف لتكون فى معية ضيافته الملكية الخاصة

لتشاركه أشهى المأكولات وأطيب المشروبات وأسعد الأوقات وقد أرسل لك سفينته الخاصة لتحملك اليه حتى لا تتحمل مشقة السفر أو أى تعب فى طريق السفر . وارسل محفته الملكية الخاصة المصنوعة من خشب الابانوس المطعم بالذهب والاحجار الكريمة لتحملك من مجلسك الخاص الى السفينة الملكية ومن السفينة الى قصر فرعون العظيم فى منف عاصمة البلاد .

فرد تيتا عليه بقوله « عليك السلام والبركة الآلهية » .

ليباركك الآله يا حورددف يا ابن فرعون العظيم ومحبوب ابيك يا من وهبك الآله الحياة والصحة والقوة وهداك الحكمة والمشورة لتكون من كبار اعوان ابيك وليحمى نفسك من اعدائك ويهدى روحك طريق الحق الذى يفسح لها طريق البعث ويمهده فى رحلة العالم الآخر .

ساذهب معك إلى حضرة فرعون فى سفينة الملك وستتبعنا سفينة المعبد التى تحمل خدمى واتباعى وكتب سحرى ومقدساتمعرفتى المقدسة .

وتم كل شىء وفقا لرغبة تيتا ووصل الركب وسفنه الى شاطىء منف وحملت المحفة الملكية تيتا الى قصر فرعون .

عندما اخطر الملك خوفو بوصول ضيفه العظيم نادى رجال حاشيته وهو يقول احملوا الضيف العظيم الى فوارا .

وهكذا دخل تيتا الى قاعدة العمد الكبرى التى يتوسطها عرش خوفو الذى حلس عليه يحيط به كبار رجال الدولة والحاشية والنبلاء فوقف خوفو ليعانق صيفه العظيم وهو يقول : كيف لم اراك قبل اليوم يا سيد السحر العظيم » ؟

فرد فرعون عليه تيتا بقوله « لا يأتى الا الذى يدعى ولا يدعى الا من تكون هناك حاجة الى دعوته لن يآت اليك الا من هو فى حاجة اليك أو أن تكون انت

فى حاجة اليه » وها أنا أتشرف بلقائك تلبية لرغبتك ودعوتك وهو اللقاء الذى تحدد الآلهة أوانه .

فبادرة الملك بالسؤال « هل صحيح ما سمعته عنك بانك تعيد الرأس المفصول إلى الجسد وتعود اليه الحياة ؟

فأجاب تيتا « من الطبيعى ان اقوم بذلك العمل بفضل سحر علوم المعرفة المقدسة واسرارها فى السنوات المائة وعشر سنين التى عشتها فى طاعة رب الارباب ورسوله المقدس ايمحوتب الذى كشف عنه الآله سر القوى الخفية التى يسخر بها ما وراء الطبيعة فامر فرعون باحضار احد المساجين الذين صدر الحكم باعدامهم على أن يحضر معه الجلاد الذى يتولى تنفيذ الحكم بفصل رأسه على أن يقوم الساحر تيتا بعد ذلك باعادة الرأس الى الجسم وعودة الحياة الى صاحبها ولكن تيتا قال « ايها الفرعون العظيم لقد حرم الآله السحر الأسود أحد اسلحة الشيطان فى انسان ارتبطت نهاية مصيره بالقدر الذى كتبه وحدده له الآله .

فلتكن التجربة على أى كائن آخر يختاره جلالتكم ، فاحضروا له أوزه فى قاعة الاعمدة فى مجلس الملك ففصلوا رأسها ووضعوه فى أحد اركان القاعة بينما تركوا جسمها فى ركن بعيد وعندئذ بدأ الساحر فى تلاوة تعاويذه السحرية وعند انتهائه منها تحرك جسم الأوزه ورفرفت باجنحتها ومشت على سيقانها كما اهتز الرأس بنفس الطريقة وتحرك كل منهما حتى تقابلا فى وسط القاعة امام كرسى العرش وعلا صياح الأوزه وهى تصفق بجناحيها امام الملك .

ثم اعاد تيتا التجربة عندما اتو اليه بطائر اكبر واشار سحرة القصر على فرعون ان يطلب منه القيام بتلك التجربة على ثور قوى لا طائر ضعيف .

فاحضر جزارو القصر ثورا ضخما ، فطلب منه تيتا ان يفصلوا رأسه ويحملوها الى احد اركان القاعة اسوة بما تم عمله فى تجربة فصل رأس الطيور ثم قام الساحر تيتا بتلاوة تعاويذة السحرية فاذا بجسد الثور الهامد تدب فيه الحياة ويقفز على قوائمه وهو يسير متجها الى مكان الرأس التى ما أن يلمسها حتى تلتحم بالجسد ويسير فى القاعة امام الملك والحاشية وقد ملأ خواره أرجاءها وغادر القاعة وهو فى كامل قواه باشارة من تيتا وهو يرتل تعاويذه .

وقام الملك ليعانق تيتا ويضع على صدره قلادة بتاح المقدسة وهو يقول له :

الآن وقد تأكدت من كل المعجزات التى نقلوها الى عن سحرك العظيم والتى شاهدتها بنفسى وامنت بما وهبك به الآله من اسرار المعرفة المقدسة فهل لى أن اسالك أن ترشدنى الى مكان العثور على بردية ايمحوبت المقدسة وكلماتها السحرية التى تحوى سر بناء الأهرام الخالدة وتكسبها المناعة ضد قوى الشر ابد الدهر الى يوم البعث ولقاء اوزوريس ؟

خرج تيتا من قصر الملك ليذهب الى معبد بتاح وهو يحمل قلادته على صدره التى تسمح له بالدخول الى قدس الأقداس حيث اعتكف بعض الوقت ليمارس صلواته ويتلو تعاويذ سحره وشعائره ثم خرج الى الملك ليبشره بما سمحت به الاستخارة وقال :

« يمكننى ان اخبرك الأن عن مكان البردية فهى محفوظة فى خزانة من الحجر الصوان فى مخبأ سرى بأحد ارجاء معبد الآله رع بمدينة اون (هيلوبوليس) وهو مكان لن يتوصل الى بلوغه مخلوق .

لقد علمت بقواى السحرية ان هناك شخص يمكنه ان يكشف لك موضع تلك الخزانة . . شخص واحد فقط يمكننى أن أدلك عليه .

هنا ارتفع صوت الملك وقد فقد صبره « تكلم اذا ايها الساحر العظيم انطق باسمه وستكون مكافآتك عظيمة ولن يرفض لك طلب تطلبه .

فطلب تيتا أن يعتكف فى محراب القصر حتى غروب الشمس ليستخير الآله بتاح . وخرج من خلوته بعد استخارة الآله وتلقى أوامره وتعاليمه ليقول للملك :

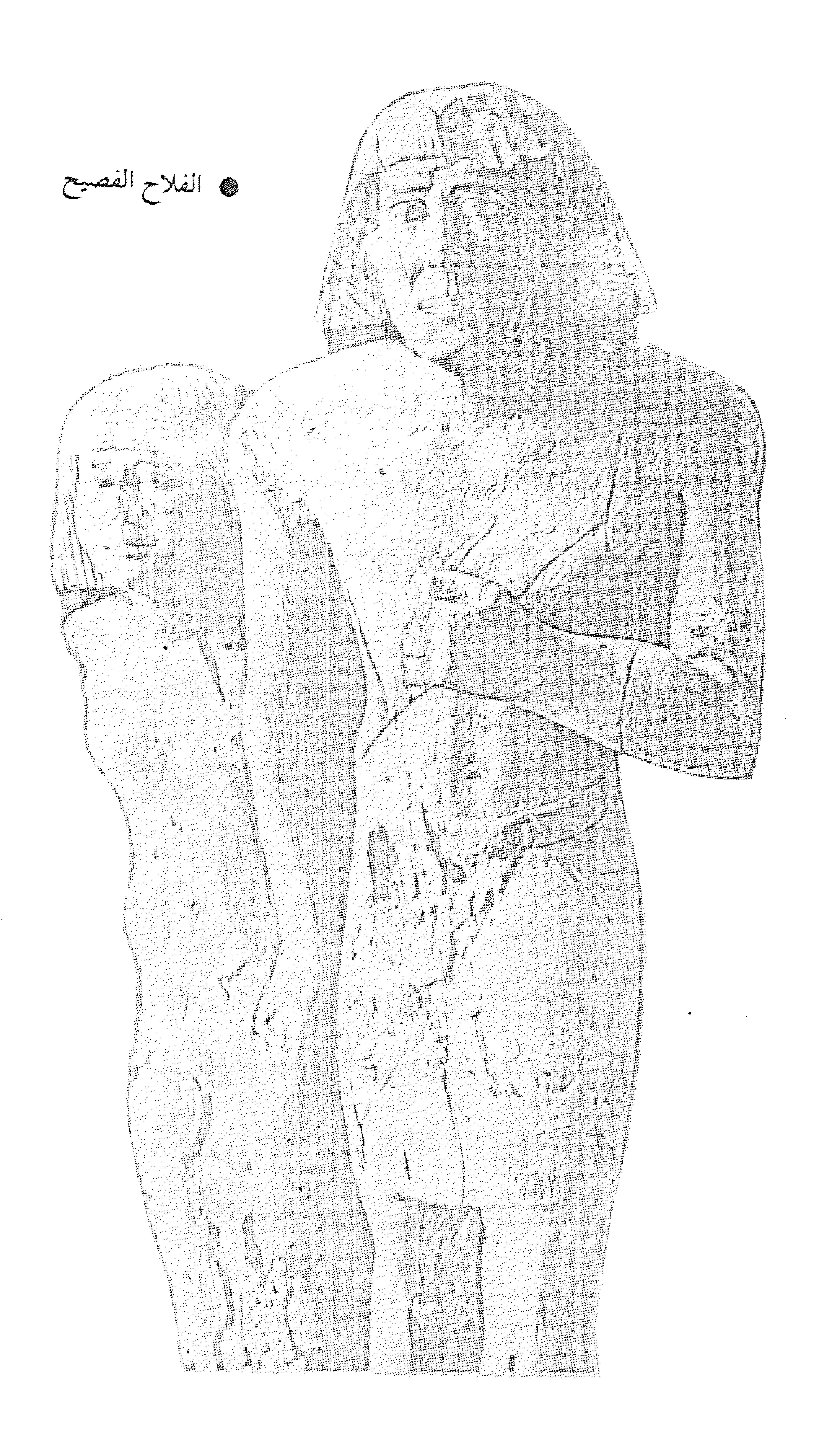
« يا فرعون مصر العظيم لك الحياة الأبدية والصحة والعافية ورضاء الآله رع رب الأرباب ـ أن زوجة أحد كهنة معبد أون ستلد ثلاثة اطفال وستحل روح الآله العظيم بجسد احدهم . إن اسمها (رود ـ ديدت) وسيعرف ابنها المقدس مكان الخزانة السرية التى تحتفظ ببردية « ايمحوتب العظيم » سيجلس ذلك الابن المقدس مكانك على عرش مصر ويحكم البلاد .

فاضطرب قلب خوفو وقال فلنرسل من يقتل « رود ـ ديدف » قبل أن يرى ابنها نور الحياة لأنه ليس هناك طريق سوى الخيانة والمؤامرات ليصبح احد اولادها فرعونا على مصر فرد عليه الساحر تيتا بقوله « فليهدأ قلبك يا مولاى فانى أرى فى كتاب الغيب أيضا أن أبنك خفرع هو الذى سيرث العرش من بعدك كما سيجلس على عرش مصر من بعده ابنه منكاورع قبل ان يوضع تاج الوجهين على رأس ابن (رود ـ ديدت) ان الكلمات القوى السحرية التى ستمكن مهندسوك ورجالك من بناء الهيكل الذى تتحدى به قوى الشر والفناء لن يكشفها لك الا ذلك المولود المقدس ولا تحول كل ما ستبنيه أنت وأولادك من أهرامات ومبان للخلود الى انقاض يطويها الزمن تحت رمال الصحراء .
فأصدر الملك خوفو مرسوما ملكيا بأن يقيم أولاد الكاهنة (رود ـ ديدت) فى رعاية الملك وتكريم امهم بمعبد هيليوبوليس بعدما ولدت ثلاثة اطفال كما تنبأ تيتا . واصدر خوفو أمراً ملكياً ينص على أن « أى شخص يصيب أحد الأولاد

الثلاثة بسوء حتى ولو كان من أمراء القصر أو أبناء الملك يكون مصيره الموت ، وتنزل اللعنة على روحه حتى تضل طريق الخلود وأمر خوفو باعداد مكان لأقامة تيتا فى القصر مدى حياته وأن يخصص له كل يوم خمسمائة قرص من الخبز الملكى وفخد عجل ومائة كأس من الخمر وكل ما يحتاج اليه .

فى معبد أون معبد الآله رع بهيليوبوليس انجبت (رود ديدت) أطفالها الثلاثة الذين تربوا معها فى مدينة المعبد . وبينما كان أكبر أول أطفالها الثلاثة الذى أطلقت عليه أسم أوسركاف يلعب فى ساحة المعبد عثرت قدمه بالخزانة الحجرية التى حفظت بها لفائف البردى التى تحوى كلمات قوى السر المقدس وككاهن صغير دأب على قراءة كلمات السحروالتعاويذ التى تمكن بفضلها « حيامون » من إقامة الهرم الأكبر للملك خوفو والتعرف على أسرار البناء وعندما أصبح اوسركاف الكاهن الأكبر للمعبد عاون بقراءتها الملك خفرع على بناء هرمه وعندما تولى منكاورع عاونة على بناء هرمة أسوة بهرمى خوفو وخفرع حيث كان هو الوحيد على أرض مصر الذى يحتفظ بسر برديات المحوتيب السحرية وسر بناء الأهرام .

بموت منكاورع الذى لم يكن له وريث للعرش اتم اوسر كاف بناء هرمه ووضع به جثته ثم ناد كهنة معبد اون باوسر كاف ملك على مصر ووضعوا على رأسه تاج الوجهين القبلى والبحرى وهكذا أنتهت الأسرة الرابعة وأسس اوسر كاف الأسرة الخامسة وتحققت نبوءات الساحر تيتا .



● الفلاح الفصيح

الفلاح الفصيح

أدب الحكمة والتعبير عنه بأدب القصة

● كتب حوادث القصة أحد أدباء العصر الأهناسى وتدور أحداثها فى عهد الملك خيتى الثالث آخر ملوك الأسرة العاشرة مع نهاية عصر الاضمحلال الأول الذى شغل الفترة الزمنية ما بين الدولة القديمة بجلالها وعظمتها وبين الدولة الوسطى بداية عصر التحرير. وقد استغرقت تلك الفترة حوالى ٢٥٠ سنة ساد خلالها حالة من التفكك والفوضى نتيجة لانهيار الحكم المركزى نشوب المعارك بين حكام الأقاليم وما صاحبها من انتشار الفساد الداخلى واختلال القيم الدينية والخلقية.

والقصة فى حد ذاتها بسيطة فى وقائعها إلا أنها تمتاز ببلاغة الأسلوب ولم يكن الهدف من ذلك العمل الأدبى وقائع القصة نفسها بل كان الهدف منه إعلان الشكاوى التسعة التى ناقش فيها الفلاح النظم الاجتماعية والفوارق بين الطبقات كما طالب فيها بمحو الظلم ونشر العدالة واعطاء كل ذى حق حقه وحماية الفقير من الحاكم الغنى الظالم.

وتعتبر قصة الفلاح الفصيح من أغنى قصص المصريين القدماء وأكثرها اكتمالا كعمل أدبى ينطوى على نقد مرير للمجتمع ويتبنى الدعوة إلى اقامة نظام أكثر عدلاً وشفقة بالفقراء.

وقد كتبت القصة بأسلوب يتميز بالفصاحة التى امتزجت بقدر ملحوظ من السخرية والتهكم مما أكسبها مكانة خاصة عند قدماء المصريين الذين شاع لديهم هذا النوع من القصص ذات البعد النقدى الاجتماعى الواضح.

تتلخص وقائع القصة فى أن أحد القرويين واسمه «خون ابنو» الشهير بالفلاح الفصيح خرج من قريته حقل الملح بالقرب من وادى النطرون يحمل على حميره بعض السلع التى اشتهرت بها المنطقة من ملح ونطرون وأعشاب طبية وعطور ليبيعها فى العاصمة اهناسيا.

ولسوء حظ «خون ابنو» كان ذلك الطريق فى منطقة اهناسيا يخترق ضيعة «رنسى مرو» مدير قصر نرعون وكان «تحوتى نخت» الذى يعمل فى خدمة «رنسى مرو» يقع بتبة على الطريق المؤدى للعاصمة التى يقصدها «حون ابنو» مع حميره التى تحمل بضائع تجارته.

وكان منظر حمير «حون ابنو» بحمولتها الثمينة سبباً كافياً لتحريك مطامع «تحوتى نخت» فعندما لمح قافلة الحمير قادمة على البعد بدأ على الفور فى تنفيذ خطة للاستيلاء عليها فلجأ إلى الحيلة فأمر خادمه بالاسراع إلى المنزل لاحضار صندوق ملىء بقماش الكتان وأمر بنشر الكتان على الطريق الذى يمتد من ماء الترعة إلى حقل القمح.

وطلب تحوتى نخت من القروى الابتعاد عن القماش المنشور فوق الطريق.

ورغم احتجاج «خون ابنو» على هذا الاعتداء على الطريق العام الذى هو ملك لجميع الناس فإنه امتثل للإمر وسار بحميره على حافة حقل القمح وما كان يستطيع أن يغامر بالخوض بها عبر الماء من ناحية الترعة.

لم يعجب هذا التصرف بطبيعة الحال «جحوتى نخت» فقال له كيف تجعل من حقلنا طريقاً لك ولحميرك؟

فأجابه القروى هادئيا «انى لا أقصد إلا طريق الخير فالجسر مرتفع ويفوق قاشك السير عليه والطريق الوحيد هو السير فى الحقل فهـو الطريق الـوحيد أمامنا.

عندئذ وفى خلال المناقشة كان لابد أن يحدث ما خطط له «تحوق نخت» حيث اقتضم أحد الحمير حزمة من أعواد القمح المغرية. ورغم محاولات «خون انبو» للاعتذار إلا ان «تحوق نخت» لم يدع الفرصة التي دبر لها تفلت من يده فقبض على الحمير وأخبر الفلاح بأنه سيتولى عليها عقاباً على ما فعله وتعويضاً على ما سببه من أضرار لحقت بزراعة «تحوق نخت» والتى نتجت من دخول حميره أرض مزرعته واتلافها محصولاته.

عندما المح الفلاح مهدداً بالشكوى لصاحب الضيعة مدير البيت العظيم والقاضي العادل الذى عرف عنه معاقبته للصوص والوقوف بجانب المظلوم ورد الحق لأصحابه.

وقال أنه يعرف أن صاحب هذه الضيعة هـو «رنسى» لاعجابـه الشديـد بفصاحة الفلاح ولباقته فى التعبير عن مكنون صدره.

وحمل رنسى أول خطبة ألقاها الفلاح إلى فرعون ملك البلاد وعرضها عليه وأخبره بما لمسه من فصاحته ولباقته وجرأته وحسن تدبيره وما وقـع عليه من اعتداء وظلم من أحد موظفى القصر الملكى.

فكان جواب الملك الذى عرف عنه حبه للأدب وحكمائه ورغبته الدائمة فى التعرف على احوال الشعب فى ظل ما وصلت إليه البلاد من إنحلال وإنهيار فى أعقاب عصر الاضمحلال والفوضى التى سادت البلاد.

كانت اجابته لرنسى بقوله «على قدر ما تحب لى من عافية والعمل بكل ما يرضى الآله رب الحق والعدالة دع أمر الفلاح يقضى على مهل ولا تجبه فى شىء مما يقول وإلتزم الصمت حتى لا يقف عن الكلام مهما طال الزمن فقد يكون فيما يقوله ما يكشف سر ما لا نعلم من شؤ ون البلاد ومـا يكون فيـه من صلاح لأحوالها. وأكتب كل ما يقوله حتى نسمعه.

وسـأل الملك عن عمل الفـلاح قيل لـه أنه يعمـل بالتجـارة يحمل الملح والنطرون الذى تحتاج إليه العاصمة اهناسيا من قرية الملح التى يسكنها ويقوم باستبدال بضاعته بالقمح والعسل الذى تفتقر إليه قريته وفيه زاد بيته وعياله فينادي الملك القاضي رنسى ويقول له «لا تنسى أمر بيته وأمراته وعياله فهو لم يأت إلى المدينة إلا لأن بيته خال من كل زاد فأرسل لهم فوراً كل ما يحتاجون إليه وحمله على بعض حميره التى اغتصبوها منه وان سألوك عمن أساسها قل لهم أنه رب بيتهم «حون انبو».

أما الفلاح فقدم له الطعام وكل ما يحتاج إليه من زاد دون أن يعلم بأنك أنت الفاعل.

وهكذا تنتهى قصة الفلاح الفصيح بالشكاوى التسعة المشهورة التى قدمها فى الأيام التسعة أو الجلسات التسعة والتى يمكن وصفهـا بالخـطب فتسميتها بالخطب يعبر تعبيراً دقيقاً عن محتواها. فتبدأ كل خطبة بالمـديح لمـدير البيت العظيم ثم تنتقل إلى الحالة السيئة التى وصلت إليها البـلاد ممثلة فى شخص الفلاح الفقير الذى يقف أمام القضاة وما لقيه من ظلم ممن ينتمون إلى الحكام وأصحاب الضياع عندما يفتقد المواطن الأمان على نفسه أو بيته أو ماله.

ولا تخلو خطبة من خطبه التسعة من بعض الحكم والمواعظ ذات العبارات البليغة التى تناوبها كثير من الكتاب والحكماء فى مختلف العصور التاريخية ابتداءً من الدولة الوسطى التى كتبت فيها القصة حتى أوائل العصر البطلمى. أما نتيجة الحكم ومصير ثروته المغتصبة فقد أشار لها المؤلف فى موضح آخر من القصة عندما وصف استقبال أهل القرية لحون انبو عند عودته وفوجئوا بزيادة عدد الحمير المحملة بالبضائع والهدايا التى حملها لأهل القرية عن عدد الحمير التى كان يمتلكها عند خروجه من القرية كما سبقه وصول جزء منها إلى قريته وهو الجزء الذى أمر الملك بارساله إلى أهل بيته أثناء انشغاله بالمحاكمة والدفاع عن نفسه بالقاء خطبه التسع التى كان الملك سعيداً بمتابعتها.

وهى الخطب التسع التى ألقاها الفلاح الفصيح فى لقائه المتكرر مع القاضى رنسى رسول الملك وكبير أمنائه وكان رنسى يحاول استفزاز «حون انبو» من جلسة إلى أخرى ليحمله على الافصاح بما يكنه صدره ليكشف للملك ما يغيب عنه من أحوال الشعب ومدى ولائه فى إطار معاناته. فبينما يبدأ خطبه الأولى يمزج من المديح والاطراء على القاضى العادل ينتقل إلى وصف سوء الحالة التى وصلت إليها البلاد. وعندما يرى اعراض القاضى عنه تتحول لهجته إلى التقريح والتحذير من سوء العاقبة وعندما ييأس من اقناع القاضى بانصافه ينقلب فى خطبة من المديح والثناء والموعظة إلى الهجوم والاتهام والتحذير من سوء العاقبة ويتهم القضاة بخراب الذمة والفساد والوقوف بجانب الظالم ضد المظلوم واختلال ميزان العدالة الذى سقط من أيديهم.

ولقد أجاد الأديب هنا فى هذه القصة من ان يتخذ من هذه الشكاوى مسرحاً لعرض كل المبادىء الاجتماعية والقانونية التى يأمل فيها كل فرد من أفراد مجتمعه.

يبدأ خون انبو الشكوى الأولى أو الخطبة الأولى من خطاباته التسعة بقوله:

● أيها الملك العادل ظل الآله فى الأرض

أنت تجىء كنور الحق وبمجيئك يختفى ظلام الباطل
أنت تجىء كالشبح وبمجيئك ينتهى الجوع
أنت تجىء كالثياب وبنجيئك ينتهى العرى
أنت تجىء كماء نهر الحياة وبمجيئك ينتهى الظمأ
أنت كالنسمة الصافية تجئء بالهدوء بعد العاصفة الهوجاء
أنت الدفء لمن أصابه البرد ولا يقوى على مقاومته
أنت كالنار تنضج الطعام وكالماء تروى العطشان
أيها الملك ان ظل الاله فى الأرض
فلا تكفر بتلك النعم التى خصصك بها الاله

ان العدالة فى حكم الناس مسؤ وليك أمام الاله
انك مسؤ ول عن اختيار قضاتك وقضاتك مسؤ ولون أمام الاله

ينموذج آخر من أسلوب الشكاوى يخاطب به القاضى بقوله :
● أنظر أنك الرئيس وبيدك الميزان أيها القاضى
إذا إختل هذا الميزان اختل مركزك أمام الناس وأمام الاله
لاتول وأهك للظالم وتولى ظهرك للمظلوم فالاله يراك
إنك صانع العدل ومن يصنع العدل لا يمكنه أن نحرف عنه
إنك تمثل القلم والمحبرة ولفة البردى
فلا تترك قلمك يسطر إلا ما يمليه ضميرك
إنك تحاسب الناس فاحكم بالعدل
لا تنسى أن أحكامك ستحاسْب عليها عندما توضع
عندما يحاسبك الاله فى ميزان الآخرة
استمع إلى صوت المظلوم قبل استمانك إلى صوت الظالم
إنك دِفة السماء فلا تنحرف
وساريُ الأرض فاستقم

● وفى خطبة أخرى يبدأها بالمديح ثم ينتقل إلى وصف حالة الفقير
إنك رب العدالة وأعظم العظماء
إنك إذِا نزلت بمركبك فى نهر العدالة
فستملأ الريح قلاعها، فلا يتمزق شراعك
ولن يصيب سفينتك الخلل
ولن تنقطع حبال مراسيها
ولن يجرفها التيار فيختل ميزانها

وستسعى الأسماك الضالة والفرغة إليك
وتلجأ طيور السمان التائهة إلى سفينتك
فرجل العدالة-أن لليتيم ورجل للارملة
وأخ لمن هجره أهله وستر لمن لا أم له
ان فمى مفتوح ليتكلم ويخرج الكلام منه
كما يتدفق الماء من فتحة صغيرة فى السد
ان حياة الفقير فى ماله
فمن أخذه منه فقد خنقه
ان أمان الفقير فى أمن بيته
فاذا فقد امانة كمن احترق بيته
وإذا جف ماء النهر ونهر الأمن
فكيف تتمكن السفينة من عبوره
وكيف يسترد الفقير والمظلوم حقه
الذى وصعتموه على الشاطىء الآخر
من نهر العدالة والحق الذى جف ماؤه

● وفى خطبة أخرى ينقلب الفلاح الفصيح على القاضى «رنسى» بعد انحرافه المقصود لمحاباة «تحوتى نخت» الذى ظلمه واغتصب ماله ووقوف رجال القصر من مساعدى القاضى فى صف الظالم.

فينقلب فى خطبته السادسة من الدعاء للقاضى فى مطلع الخطبة إلى الدعاء عليه بأن يعيش القاضى الحياة التى يعيشها هو نفسه بما فيها من بؤس وخراب حتى يستطيع أن يفهمه ويقدر حاله.

ولما يئس من اقناع القاضى «رنسى» ومستشاريه بعدالة قضيته ورد حقه المسلوب غدراً وظلماً والتى شرحها فى خطاباته السابقة وتكرر التحقيق فيها وسارت سفينة التحقيق ضد تيار الحق، انقلب من الثناء والموعظة التى تعود أن

يبدأ بها خطبة إلى الهجوم والاتهام والتحذير من سوء العاقبة لاثبات حقه فيقول:

أيها القاضى . . أنظر كيف انهارت العدالة تحت قدميك
وإنهار سقف دار العدالة ليتساوى بالأرض
لقد طردت العدالة فلم يعد لها مكان فى البلاد
لقد سقطت كفتا الميزان الذى تحمله فكيف ستصل
إلى الحق وميزان العدالة قد اختل وهو بين يديك
القضاة يسرقون ولا يصاحبون غير أهل الظلم
ويغلقون أبوابهم ويسدون آذانهم أمام المظلومين
وإذا سرق القاضى عم الفقر البلاد
وإذا هربت العدالة عم البلاد الفساد
فكبار الموظفين يأتون السيئات ولا يمدون يدهم
لمساعدة الفقراء.
وصغار الموظفين يمدون أيديهم للرشوة يغتصبونها
من الفقراء المحتاجين.

● أيها الملك العظيم أنت مسؤول عن كبار اشرافك
وكل مسؤول عن رعاية الفقراء ونشر العدل بن الناس فسله الفالهة كافية لافساد قضاتك

فالكذب مرعاهم الخصيب وقلوبهم عامرة بالهوى
ولا وقت عندهم لسماع صوت الفقير وانصافه
ليس فى محكمة عدالة الأرض فكان لسماع شكوى الفقير ومحكمة السماء هى المحكمة الوحيدة التى عليه ان يتقدم بشكواه ليرفعها إليها.

● من حين لآخر راح الفلاح الفصيح يضمن خطبة تلك المواعظ والحكم التي رأى فيها المثل. التى يجب ان يحتذى بها رجال الحكم وهى تشبه قانوناً الأخلاق أاراد واضعه أن تسود العلاقة بين الحكام والمحكومين فيقول ان الموت يدرك الغنى والفقير على السواء.

فلا تظن انك خالد فالخلود يبدأ بعد خروجك
من محكمة الآخرة وفيها ميزان عدالة السماء

● لادوام للكرسى الذى تجلس عليه. . فقد جلس عليه من قبلك وسيجلس عليه من يأتى بعدك

● إذا غرقت سفينة العدالة فكيف ترى ان نعبر النهر هل ترى ان نعبره باقدامنا . . وهل ذلك ممكن

● ان البستانى الذى يروى ارضه بالخبث ويزرعها بالشر ـ لا يحصد الا البهتان ولا ينتج بستانه سوى الرذائل

● لا أمان لمن لم يكترث بالناس
ولا صديق لمن يصم اذنيه عن الحق
ولاسعادة لمن عاش على الجشع

● لا تغمض عينيك عما تعرف
ولا تتجاهل من يقصدك ولا تنهر من استجار بك

● كما ان الأب مسؤول عن اولاده
فالكبير مسؤول على الصغير
والحاكم مسؤول عن المحكوم
والرئيس مسؤول عن مرؤوسيه
ولو شاء الاله لجعلهم على درجة واحدة
وبذلك حياة المجتمع وسيحاسب الاله
كل واحد على تأدية الأمانة التى وضعها فى يده

● الظلم ظلام القلب الذى يفقتد به الحاكم
النور الذى يرى به المظلوم او يرى نفسه
ولا يرى الاله الذى لا تغفل عينيه عن
مراقبة أعماله ووضعها فى ميزان الحساب

● همس المظلوم أعلا صوتاً من صراخ الظالم

● كلما ارتفعت إلى أعلا وجه نظرك إلى أسفل حتى لا تنسى نفسك وتنسى مسؤ وليتك
أمام الاله الذى رفعك
● إذا تغلب الشر على النفس أصبح الانسان أسير الهواة وعبدالغرائز

ويثور «حون انبو» الفلاح الفصيح فى آخر خطبة التسع على «رنسى» وأعوانه من رجال القصر فيخاطبه بقوله:

● لا تكن بطيئاً وعجل بقضاء الحق
لا تتحيز ولا تطع قلبك ولا تتجاهل من يقصدك
لا تغمض عينيك عما تعرف ولا تنهر من استجار بك

فلا أمان لمن لم يكترث بالناس. ولا صديق لمن يصم
اذنيه عن الحق. ولا سعادة لمن عاش على الجشع
انظر انى قد تقدمت بشكواى فلم ينصت إليها أحد
فلم يعد أمامى إلا أن أتقدم بشكواى إلى انوبيس
اله الموت ليرفعها إلى اوزوريس قاضى محكمة الآخرة
انى الآن متلهف إلى الموت بعيداً عن العيش مع الأحياء ويخرج «حون انبو» ليعود إلى قريته وقد فقد كل ما يملك لما علم الملك بما دار فى المحكمة طلب من رنسى ان يحمل له لفة البردى التى تحوى خطبه التسع وأمره أن يقرأها أمامه ـ فسر قلب الملك وأمر رنسى ان يحضر سجل الضرائب الخاص بالناحية التى يتبعها «خون انبو» وتم التحقيق من موقفه القانونى ومن عدد أفراد أسرته. وطلب من رجال القصر حصر أملاك «تحوتى نخت» وما طرأ على ثروته من تضخم ثم أمر الملك عقابه بأن تسلم ثروته للفلاح الفصيح بالاضافة إلى تسليمه قطيع حميره كاملاً وهو الذى عاد به محملاً بالبضائع والهدايا التى قدمها له الملك.

●



● هيردوت وأدب القصة الفرعونى

كيف ضحك الفراعنة على المؤرخ هيرودوت ؟

منذ ستة آلاف سنة والكاتب المصرى الجالس القرفصاء يتعرض الى عملية نهب وسطو منظمة على مؤلفاته !

سرق العالم مؤلفاته الحقيقية ونسبها الى مؤلفين وكتاب غربيين !

وطوال القصص السابقة تابعنا حكايات وقصص مجنون ليلى . . السندباد البحرى والكوميديا الإلهيـة . . وكليلة ودمنة . . وألف ليلة وليلة . . و . . و . .

وفى السطور القادمة نحاول الانفراد بنشر تفاصيل انتقام الكاتب المصرى من سارقيه وهم كثيرون . وللأسف فقد رحلوا عن دنيانـا من آلاف السنين أيضا ؟

أن أول من حاول سرقة الكاتب المصرى والسطو على انتاج أفكاره فى الأدب والقصة والشعر كان مؤرخو الأغريق وكتابهم . وفى مقدمتهم هيرودوت وسولون وتيودورس وأفريكانوس ثم تبعهم مؤرخو الرومان امثال شيشرون وبللينى .

وقد أعترفوا جميعا فى تراجم حياتهم بجهلهم وعدم معرفتهم باللغة المصرية القديمة وعدم درايتهم بخطوطها ونقوشها وكتاباتها ولذا فقد أطلقوا اسم « الهيروغليفية » أو النقش المقدس « هيرو ـ غليفوس » وهو الأسم الذى أطلق فيما بعد ـ وحتى اليوم ـ على كل ما هو غاض أو غير مفهوم .

لذلك فقد كانوا يلجأون الى الكاتب المصرى والتراجمة وصغار الكهنة من كتاب المعابد ليترجموا لهم ما يقع تحت أيديهم من مستندات وبرديات أو ما يصادفهم من نقوش ورسوم .

وهكذا وجد الكاتب المصرى ابن البلد فرصةذهبية أتيحت له ليسخر من هؤلاء السواح الأجانب الذين أتوا لسرقة أفكاره ومقومات تراث حضارته الأدبى . وجدها فرصة لا تعوض « ليسرح بهم » ويمرح بخياله فى وصف ما يريدون معرفته وترجمة ما يريدون كشف اسراره من نقوش وكتابات وقصص وأحداث تصف حضارة مصر وتعبر عن تراث تاريخها وحياة مجتمعات شعبها فحلقوا بخيالهم فى ترجمة البرديات وتفسير النقوش بما يخالف مضمونها ونسبوا قصصهم الشعبية الى شخصيات تاريخيةمعروفة ، وأماكن لا ترتبط بالتاريخ الزمنى لتلك الشخصيات ، ونسبوا الى كل منها احداثا وواقعا لم يكن لها مكان فى الواقع الا فى ابتكارات خيالهم .

وتسارع المؤرخون والكتاب الى نقل تلك القصص التاريخية وما ارتبط بها من اسرار المعرفة ونسبوها الى أنفسهم أو الى دراساتهم وأبحاثهم الخاصة . . فوقعو فى شر أعمالهم وأعترف العالم ومؤرخو العصر الحديث «بأن الكاتب المصرى كان أكثر ذكاء ممن سرقوا أدبه وأفكاره » .

كان فى مقدمة ضحايا انتقام « الكاتب المصرى » ومقالبه الذكية المؤرخ الإغريقى « هيرودوت » الذى يعتبره المؤرخون وكتاب الفرعونيات المرجع الأساسى للحضارةالفرعونية وتاريخ مصر وأطلقوا عليه اسم « أبو التاريخ » .

بينما كشف مؤرخو الفراعنة المصريين وفى مقدمتهم « مانيتون السمنودى » الذى كان أول من كتب التاريخ الزمنى لمصر وقسمه الى عصور وعهود واسرات وقوائم زمنية لحكم الملوك وأسمائهم وأعمالهم وهو ما تحققت صحته بما كشفته الحفريات عبر السنين الى يومنا هذا فكشفت زيف التاريخ الذى افترى عليه هؤلاء الكتاب الأجانب .

وقد خرج كل من الكاتبين الألمانيين فيدرمان وهايدن بابحاثهما التى كشفت بأن أبا التاريخ كان ضحية مقالب الكاتب المصرى كما نشر سودربرج السويدى بحثا مماثلا وصف فيه هيرودوت بأنه كان ضحية « لعنة الفراعنة » التى كان الكاتب المصرى يتقن لعبتها .

واذا راجعنا ما كتبه هيرودوت « أبو التاريخ » عن عصر الأهرامات وبنائها نجد أنه عندما وصف الهرم الأكبر وكانت واجهاته تكسوها النقوش والرموز التى وصفها مؤرخو الفراعنة ومتون الأهرام بأنها كانت رموزا بيانية لقياس الزمن بالنسبة لسقوط أشعة الشمس على واجهاته « كمزولة شمسية » وخطوطاً

هندسية لحساب دورة النجوم فى قبة السماء وكانت تستخدم فى رصد النجوم والبروج السماوية وارتباطها بالتنجيم الذى برعوا فى كشف اسراره . . نجد هيرودت يصف تلك النقوش (فى الفصل ١٢٥ من كتابه عن تاريخ مصر) بقوله :

« وقد بينوا على واجهات الهـرم بالحروف الهيروغليفيـنة ما أنفق ثمنـا لما استهلكه العمال من الفجل والبصل والثوم واذا وعت ذاكراتى بالضبط ما قاله الترجمان عندما قـرأعلى النقش ، فـان النفقات قـد بلغت ١٦٠٠ تالنت من الفضة . بالاضافة الى ما أنفق على مأكل العمال وملابسهم » .

وبجانب تلك السخرية من عقلية كبار كتاب الغرب وسذاجة مؤرخية فقد خدع التراجمة هيرودوت بتقدير النفقات بالتالنت والفضة والمعروف أن الفضة لم تكن متداولة أو معروفة فى مصر الا بعد عصر الأهرامات بألف وخمسمائة عام .

ويصف هيرودوت بناء الهرم الأكبر بقوله (فى الباب ١٢٦) :

« لقد بلغ كيوبس ـ فيما يقولون ـ أحط درجات الرذيلة حتى أنه عندما احتاج الى المال لبناء هرمه الأكبر وضع ابنته هو فى ماخور وأمرها أن تحصل على مبلغ معين لم يذكروا لى مقداره . وفضلا عن حصولها على ما أمرها به أبوها الملك فانها فكرت بدورها فى ترك أثر خاص بها لذلك كانت تطلب الى كل من دخل عليها أن يهدى اليها حجرا . ومن هذه الأحجار ـ فيما يقال ـ بنت لنفسها محراباً تجلس فيه فى النهار النهار عندما يكون يكون الجو صحو لأن البنت توسلت الى أبيها أن ترى الشمس مرة واحدة فى السنة .

لقد كشف التاريخ الحقيقى لمصر الفرعونية ان عصر الأهرامات كان رمزا لعودة توحيد الآله رع واقامة معابدة فى منف وهو ما يؤكد أن الهرم الأكبر لم يكن

مقة للملك خوفو كبقية الأهرامات الأخرى بل كان مرصدا للقبة السماوية ومعبدا لرب السماء مما تؤكده متون الأهرامات وتشاريعها .

أن من يعرف اخلاق المصريين وسلوكها وإيمانهم بالقيم الإنسانية فى ذلك العصر بالذات ، يعرف مما ورد مفصلا فى كثير من برديات التشاريع فى الدولة القديمة ومتون الأهرام اعتبار الزنا من كبائر الأثم الذى يجازى مرتكبها بأن يعتبر منبوذا من المعبد والشمس كما صدرت قوانين فى ذلك العصر بالذات باعتبار الدعارة أثم يجازى مرتكبها بالموت .

وما هو جدير بالذكر أن القصة ومضمونها قد وردت قصة مماثلة لها فى العصر المتأخر من القصص المعروفة بأسم غانيات نيكراتيس الإغريقيات . وتصف القصة احدى الغانيات التى بنت لنفسها قصرا من المرمر يعد أجمل قصر فى المدينة فكانت تطلب من كل من يدخل عليه من عشاقها أن يهديها حجرا تضيفه الى بناء القصر .

كما يؤكد بعض كتاب المصريات أن تلك القصة لا تخرج عن قصص وستكار « ألف ليلة وليلة الفرعونية » التى تناولها كتاب الدولة القديمة وعصر الأهرامات بالذات .

● **البقرة الذهبية !**

وينتقل هيرودوت من تاريخ الملك خوفو الى حفيدة الملك منقرع ولم يذكر شيئا عن الملك خفرع صاحب الهرم الثانى وأبو الهول كما لم يرد ذكر أبو الهول الذى جذب انتباه جميع المؤرخين الذين زاروا مصر واهراماتها وأطلق عليه بعضهم اسم حارس الأهرام .

ويصف هيرودوت منقرع بأنه ابن الملك خوفوالذى تولى الحكم من بعده ويقول :

« كان منقرع على خلاف أبيه فتح المعابد وقدم القرابين والهدايا للآلهة والكهنة وكان من أعدل الحكام الذين أحبهم الشعب ولذا فهم يخصونه بالمديح دون سائر الملوك وكان من امواله الخاصة يدفع تعويضا لكل من لا ترضيه أحكامه أو يشكو من ظلم القضاه .

وبينما هو يقيم العدل فى البلاد ويحبو الشعب بحسن رعايته دائب على عمل الخير فى ورع وتقوى نزلت به أولى المصائب وهى وفاة ابنته الطفلة الوحيدة التى كانت له فى القصر . فأستولى عليه حزن عميق من جراء الخطب الذى نزل به فأعلن الحداد فى جميع البلاد التى شاركته احزانه وقرر أن يدفن أبنته بطريقة تخالف ما عداها فأمر بصنع بقرة جوفاء من الخشب على شكل المعبودة حتحور وكساها بالذهب ثم دفن أبنته المتوفاه بداخلها .

ويقول هيرودوت أن البقرة لم توضع فى القبر ولكنها ما زالت ترى حتى يومنا هذا وقد شاهدتها فى مدينة « سايس » موضوعة بالقصر الملكى باحدى قاعاته المزينة ويحرقون بجانبها طوال الوقت مختلف أنواع البخور وكانوا يخرجون البقرة الى ضوء النهار عندما يكون صحوا لأن البنت توسلت الى أبيها أن ترى الشمس مرة واحدة فى السنة .

وعلى مقربة من قاعة البقرة المقدسة توجد قاعة أخرى بها تماثيل سرايا منقرع وهى تماثيل ضخمة لنسرة عاريات يبلغ عددها عشرون تمثالا مختلفة الأوضاع .

وفى باب اخر من الكتاب يعيد رواية قصة البقرة والتماثيل الضخمة بقوله :

« ان منقرع هام بحب ابنته الوحيدة وجامعها رغما عنها وان البنت شنقت

نفسها بعد ذلك وأن الأم أمرت بصنع البقرة التى دفنتها فيها واحتفظت بها فى القصر ورفضت وضعها فى القبر حتى تكون أمامها وبجوارها باستمرار . . وقالوا ان الأم قطعت أيدى الوصيفات اللاتى قدمن البنت الى أبيها وأن التماثيل تعرضت لما لاقته النسوة فى حياتهن » . ويصف هيرودوت كما شاهدها وقد تقطعت أيديها والقيت بجانبها .

فذلك الخلط والتناقض فى سرد تاريخ الملك منقرع الذى يظهره مرة بأنه كان ورعا متدينا بينما فى باب آخر يصفه بأنه كان منحلا مستشهدا فى الحالتين بقصة واحدة اختلف نسجها فيما يثبت أن هيرودوت كان كغيره من المؤرخين الأجانب ضحية الكاتب المصرى والتراجمة ورواة القصص الشعبية .

ويغلب الظن أن قصة « البقرة الذهبية » من طابع أسلوبها وطريقة سردها ترجح انها من القصص الشعبية التى تداولها أدب الدولة الحديثة .

وتستمر القصة وخيال مؤلفها ليكملها هيرودوت تاريخ منقرع بقوله :

« جاء وحى من مدينة « بوتو » الى الملك يخبره أنه سيعمر ست سنوات فقط ويموت فى بداية السنة السابعة . فلما عرف مقرع أن مصيرة قد تقرر ونهايته قد تحددت قرر أن يتحدى المصير ونبوءة كهنة معبد بوتو فأمر بصنع مصابيح عديدة قوية الأضاءة كان يشعلها عندما يخيم الظلام ويجيىء الليل ويتمتع بلذات الحياة دون انقطاع سواء بالليل أو بالنهار حتى تصير السنوات الست اثنتى عشر سنة وطاف بالمستنقعات والغابات وورد كل مكان علم أن به أحب متع الحياة وقد فعل ذلك رغبة منه فى تكذيب الوحى » .

ويضيف هيرودوت أن الملك منقرع ترك بدوره هرما أصغر بكثير من هرم أبيه وينسب الى نيتوكريس التى خلفته على العرش هى التى أكملته لأنه مات قبل اتمام بنائه .

ويختم هيرودوت تاريخ عصر الاهـرامات أو حـواديت عصر الاهـرامات بالملكة نيتوكريس التى انتهى بنهايتها تاريخ الأسرة الرابعة . ويصفها بأنها الملكة الوحيدة فى تاريخ الفراعنة بينما ورد فى قوائم الملوك وتقسيم الاسرات الذى دونه المؤرخ المصرى ما ينتون اسم تسع ملكات جلسن على عرش الحكم فى مصر من بينهن مريت نيت حفيدة الملك مينا فى الأسرة الأولى الملكة سبك نفرورع فى الأسرة الثانية عشرة والملكة حتشبسوت المعروفة فى الأسرة الثامنة عشرة منتهيا بكليوباترة .

ويصف هيرودوت تاريخ نيتو كريس بقوله :

« تلا على الكهنة من ثبت البردى أسماء ثلاثمائة وثلاثين ملكا أخرين حكموا بعد مينا وكان ضمن هذه الأجيال ثمانية عشر ملكا من الأثيوبيين وامرأة واحدة من أهل البلاد . والمرأة تدعى نيتو كريس كالملكة البابلية . ثم قالوا لى أنها احتالت وأهلكت الكثير من المصريين انتقاما لأخيها الذى قتله المصريون أثناء حكمة عليهم وولوها الملك بعد قتله . فقد ابتنت قاعة واسعة تحت الأرض وقالت انها ستحتفل بافتتاحها ولكنها كانت فى قرارة نفسها تدبر أمرا غير ذلك .

وللأحتفال بافتتاح القاعة أعدت وليمة عظيمة دعت اليها عددا كبيرا من المصريين وخاصة أولئك الذين علمت أنهم كانوا من المتآمرين على قتل أخيها وأثناء انشغالهم بالتهام الطعام واحتساء الشراب أنسحبت خفية هى وأعوانها خارج القاعة وأغلقوا الأبواب الحجرية الصماء خلفهم ثم أطلقت على القاعة ماء النهر من قناة واسعة خفية . .

هذا كل ما رواه لى عن هذه الملكة فيما عدا انها بعد أن قامت بفعلتها هذه بنفسها فى بئر مليئة بالرماد حتى لا تعاقب .

وقد بلغ أستخفاف « الكاتب المصرى » بعقلية كتاب الغزب ومؤرخيه الذين أتوالسرقة أفكاره . . بلغ قمته عندما حاول هيرودوت كشف الستار عن عمر الحضارة المصرية فيقول أن الكهنة قد أطلعوه على قاعة مقدسات وقواتم كبار الكهنة المبجلين الذى توارثوا رئاسة المعبد وقاموا بنشر المعرفة وسمع منهم أنه قد توالى على رأسه المعبد ٣٤١ جيلا من الكهنة حكموا مصر فى يوم نشاتها الى يوم زيارته للمعبد وقرر تلك المدة بـ ١١٣٤٠ عام . . ويسترسل هيرودوت فى مذكراته التاريخية فيقول : « وقالوا ان الشمس فى ذلك العصر غيرت دورتها المألوفة أربع مرات ، فأشرقت مرتين من حيث تغرب الأن وغربت مرتين من حيث تشرق الأن . ولم يتبع ذلك أى تغيير فى مصر لا فيما تغله الأرض ولا فيما يجود به النهر ولا فيما يتعلق بالأمراض أو الموت » .

وهى اسرار ومعلومات تاريخية لا تحتاج الى تعليق ولا تعبر عن ذكاء أبو التاريخ بقدر ما تعبر عن ذكاء من خدعوه عندما لقنوه اياها .

أن ما يقال عن هيرودوت يقال على جميع مؤرخى الإغريق والرومان القدماء الذين حشروا كتبهم ومذكراتهم عن تاريخ مصر بالاساطير والخرافات والاراجيف والقصص التى تثبت أنه لم يكن لها وجود الا فى ارجاء خيال الكاتب المصرى والتراجمة .

وهكذا انتقم الكاتب المصرى لوطنه ممن سطوا على أفكاره فعراهم وجردهم من ألقابهم كمؤرخين أو كتاب أو أدباء .

●

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٧٦٠٨ / ١٩٩٧

I.S.B.N 977 - 01 - 5243 - 9

■ د. سيد كريم

من الرواد فى المجال المعمارى فى مصر، ومن الذين أثروا العمل بالثقافة جنباً إلى جنب مع الهندسة، عشقاً للحضارة وبنيان العطاء أثمرت جهوده عن عديد من المؤلفات فى مجال استقراء وتأمل التاريخ المصرى القديم، فضلاً عن مؤلفاته الأكاديمية فى مجال الهندسة المعمارية وهو مَعنى بمحاولة تفسير لغز الحضارة الفرعونية فى كافة جوانبها، وخاصة الاجتماعية والثقافية.

نموذج مشرف للخبير المعمارى المصرى العالمى، وهو من مواليد ١٩١١م، حصل على الدكتوراه فى العمارة من جامعة زيورخ عام ١٩٣٨م، وكان أول مصرى يحصل على الدكتوراه فى هذا التخصص، وعمل أستاذاً فى جامعتى القاهرة وزيورخ، شارك ورأس عدة مؤتمرات دولية وأشرف على عشرات المشروعات الهندسية، وخاصة فى مجال تخطيط المدن الجديدة والمنشآت الثقافية والإعلامية، فى مصر والعالم العربى والخارجى، ونال عشرات الأوسمة والنياشين سواء فى مصر أو الدول العربية والأجنبية، وتكشف مؤلفاته عن عمق ثقافته وغزارة معلوماته فى مجال التاريخ المصرى القديم ومازال سخى العطاء.

مكتبة الأسرة



عدد ممتاز
بسعر رمزى جنيه وربع
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٧

مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب